أعلام النحو في الأندلس

أبو الحسين بن الطراوة
وأثره في النحو

٤٣٨ - ٥٢٨ هـ

دراسة

للدكتور محمد ابراهيم البنا

الأستاذ المساعد في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر

دار الاعتصام

الطبعة الأولى
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

دار الاعتصام
للطبع والنشر والتوزيع
القاهرة ٨ شارع حسنين حجازي
تليفون ٣١٧٤٨

أعلام النحو في الأندلس

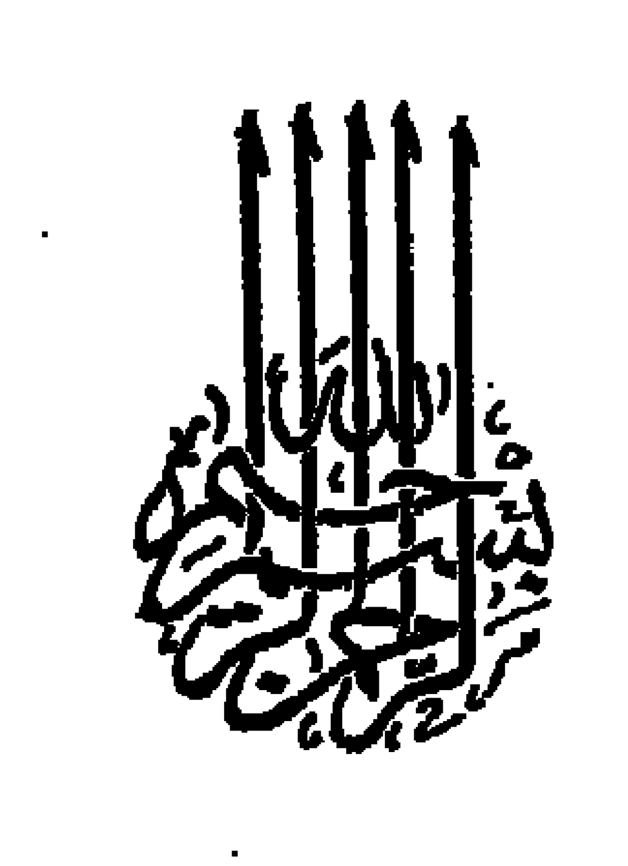
أبو الحسين بن الطراوة
وأثره في النحو

٤٣٨ - ٥٢٨ هـ

دراسة

دكتور محمد إبراهيم البنا
الأستاذ المساعد في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر





الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد .

فقد كانت لى من قبل دراسة عن أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلى ، صاحب الروض الأنف ، والأمالى ، ونتائج الفكر فى النحو . وقد وصلتنى هذه الدراسة بنحو الأندلس وثقافتها على وجه العموم . ومن خلال السهيلى قدر لى أن أعرف علماً من أعلام العربية والنحو هو الأستاذ أبو الحسين بن الطراوة ؛ ذلك أن السهيلى أدركه ، وقرأ عليه كتاب سيبويه ، وحاوره وسجل محاوراته له فى بعض كتبه . وقد كان لما سجله السهيلى عن أستاذه ما وقفنى على أستاذ متميز ، له منهج فى البحث ، واستقلال فى التناول لم أجد له نظيراً بين نحاة المشرق والأندلس جميعاً .

أدركت وأنا أدرس السهيلى أن صلته بأستاذه شبيهة بما كان بين سيبويه والخليل ، أو ابن جنى والفارسى ؛ فقد أفاد من شيخه أيما فائدة ، وكان لهذه التلمذة أثر بالغ فى كل ما تميز به السهيلى من اتجاه فى البحث ومعالجة مسائل النحو . ومن هنا وجدتنى مدفوعاً إلى دراسة ابن الطراوة ، فبحثت عن كتبه وآرائه ، وجمعت من هذه وتلك أشياء كانت قوام هذه الدراسة المستقلة عن أبى الحسين بن الطراوة .

لقد ذهب أهم تراث ابن الطراوة ، أو لعله قد حجبته خزائن الكتب الخاصة والعامة فى غير بلد ، فى العالم الإسلامى وغيره ، وإنه إذا قدر لهذا التراث أن يخرج إلى الوجود ، فسوف نرى نحوياً متفرداً ، ونمطاً من الفكر اللغوى عجز عصره والعصور التالية له عن تناوله ، وآثر السلامة والمتابعة على خطى الأولين .

لهذا أحسب أن ما أقدمه هو جهد المقلّ ، ولكنى اعتمدت على كل ما أتيح لى ، وآمل أن أكون قد وفقت فى التنبيه على مكانة ابن الطراوة فى نحو العربية ، ومشاركته فى دعم النحو ودرسه فى الأندلس ، وبالله التوفيق .

د . محمد إبراهيم البنا

القاهرة لثلاث خلون من ربيع الثانى ، من سنة ١٤٠٠ هـ
١٩/٢/١٩٨٠ م

تمهيد

يعدّ ابن الطّراوة من أبرز النحاة الذين عرفتهم الاندلس فى تاريخهـا الزاهر ، فقد أوتى من القدُرات ما هيأه لأن يكون مقصد الطلاب يأخذون عنه النحو ، ويحفظون آراءه ، ويُغرَمُون باتجاهه . كما استطاع بنشاطه النحوى والأدبى أن يجعل من مالَقةَ إحدى مـدن الاندلس الهـامة ــ مَعقِلا لدراسة النحو ، وأن تشهد من بعده أجيالا من العلماء النحاة الذين يُنسَبون إلى مالقةَ ، وكلهم آخذ منه بسبب ــ فأما من قبل أبى الحسين فما كانت تعرف الا هذا الصنف من المعلمين الذين يلبون رغبة صـغار التلاميذ ، وتقف جهودهم عند هذا القدر وحده ، وكان عليهم بعد ذلك أن يولوا وجوههم شطر قرطبة ليأخذوا النحو عن أشياخه هنالك .

ولقد كان ابن الطراوة أيضا من أوائل الاندلسيين الذين كتبـوا فى النحو كتابة متخصصة ، تقوم على فِقه أسراره وكشف غوامضه ، وتقوم أيضا على تقديم الجديد المبتكر من الآراء فأما من قبل أبى الحسين فقد كان نحاة الاندلس حَمَلة كتب ورُواة أسفار ، يتفاوتون بحسب فهمهم لمـا يروون ويحملون ، وندر أن تجد فيهم من استقل برأى ، أو أتى بجديد. وانك لو تأملت آثار الأعلم شيخ ابن الطراوة ــ وقد كان وَحيدَ عصره فى النحو ــ فسوف تخرج بنحو ما أبديناه عن طبيعة الدراسة النحوية قبل ابن الطراوة .

وكان ابن الطراوة الى ذلك أديبا ، يُنشىء القصائد والرسائل ، وتردد المجالس أشعاره ونقائضه ، كما تردد آراءه فى النحو .. ومن هنا ذاع صيتُه بين الناس ، وأقبل عليه الطلاب ، وعرفته قصور الامراء ، وروت كتب الادب أخبارَه ، كما حَفَلت كتب النحو بآرائه .

ولقد ذهبت آثار أبى الحسين فيما ذهب من تراث العربية والاسلام ،

ولم يبق منها الا رسالة صغيرة تُعدُّ أهم مصادرنا فيما نكتب الآن عنه ؛ ولو أن تراثه كله قد انتهى الينا كاملا فان الصورة التى نقدمها عنه كانت ستكون من غير شك أو فى . ولكن هذا لا يُعفينا من واجب التعريف به . والتنبيه عليه . ولقد كان لما سجله تلاميذه فى كتبهم ، وما حَوّته موسوعات النحو من آرائه أثر كبير فى ابراز معالمه ؛ لكنا نقول هنا ما قلناه غير مرة من اننا اذا اعتمدنا على ما سجله له السابقون من آراء ؛ فاننا نكون محكومين بفهم هؤلاء السابقين ؛ ففرق كبير بين ان تَرجِعَ الى الرجل فى كتابه ؛ وأن ترجع اليه فى كتاب غيره ؛ فقد يكون ذلك الذى سجل له رأيا مصيبا أو جانب الصواب . على أن ذلك لا يمنعنا ان نقدم ما أمكن الوقوفُ عليه من آراء لابن الطراوة فى كتب المتقدمين ، لأن الاستدارك عليهم فى فهم الرأى لا يمثل ظاهرة ؛ بل الظاهرة أنهم كانوا على الحق ، وأنهم كانوا مؤيدين بالحكمة والسداد .

ويقتضينا التعريف بابن الطراوة أن نُلِمَّ بما يأتى :

١ ــ عصره وحياته وبيئته .

٢ ــ شيوخه وتلاميذه .

٣ ــ شخصيته وأدبه .

٤ ــ كتبـــه .

٥ ــ آراؤه فى النحو .

- ١ -

عصره وحيـــاته

عصره :

عاش ابن الطراوة بين سنتى (٤٣٨ ــ ٥٢٨) هـ تقريبا ؛ وهى فترة من عمر الاندلس شهدت دولتين : دولة ملوك الطوائف (٤٢٢ ــ ٤٩٣) هـ ودولة المرابطين (٤٩٣ ــ ٥٤١) هـ ؛ وإنه إذا عرف عصر الطوائف بأنه كان عصر التمزق السياسى لهذه المملكة الاسلامية ؛ فانه مع ذلك قــد شهد نهضة فكرية لم تبلغها الاندلس فى عصورها المختلفة ؛ فقد حفَــل بجمهرة من العلماء والادباء والشعراء ؛ ازدانت بهم قصور الامراء المتناثرة فى قوعدهم المختلفة ؛ وقد قربهم هؤلاء الامراء ؛ وقَدَّروهم حق قدرهم . وتنافس الامراء فى ذلك ، فازدهرت الحياة العلمية والادبية وظهر أثر ذلك فى حياة الناس ؛ ذلك أن هؤلاء الامراء قد استقلوا بما تحت أيديهم مـــن إمارات وفى مُخيِّلة كل منهم تلك الصورة المثلى للحياة الادبية والعلمية فى قرطبة ، تلك التى رعاها الحكم المستنصر (٣٥٠ ــ ٣٦٦) ، والمنصـــور ابن أبى عامر من بعده ، (ت ٣٩٢) فأراد كل منهم أن تكون إمارته نِدًّا لقرطبة ، يهبط اليها الشعراء : ويؤمها العلماء والطـــلاب ؛ يقول ليفى بروفنسال : « وكان المتوقع ان يكون أثر تلك الحال الطبيعى فى الآداب العربية والاندلسية ــ وفى الشعر خاصة ــ أثرا مُبيرا أو سيئا على الاقل. لكن الواقع كان عكس ذلك ، فقد كان القرن الحادى عشر ــ عصر ملوك الطوائف ــ عصرًا عرفت فيه اسبانيا أكبر إشراق .. وكثر الشعراء حتى ظهروا بين الناس » (١) .

ومن أبرز العلماء الذين حَفَل بهم هذا العصر : أبو محمد بن حـــزم

(١) ادب الاندلس وتاريخها ، ليفى بروفنسال ١٢ ، ١٣

المتوفى سنة ٤٥٦ ، وكان امام الظاهرية فى عصره ، وأبو الوليد البـــاجى المتوفى سنة ٤٧٤ صاحب المنتقى فى شرح الموطأ ، وقد ذهب فيـه مذهب الاجتهــــاد .

فأما عن النشاط اللغوى فى هذا العصر فإنه يعد بحق امتـدادا لتلك الحركة العلمية التى رعاها الحكم المستنصر ، فأثمرت مدرستها فى النحو على يدى أبى على القالى (تـ ٣٥٦) وأبى عبد الله الرَّباحِى (تـ ٣٥٨)، فقد عرفت الاندلس منذ منتصف القرن الرابع الهجرى أجيالا من علمـاء النحو ، ازدهرت بهم قرطبة ، وأصبحوا قِبلة الطلاب يأخذون عنهم الكتاب ولقد كان من المألوف من قبل أن يولّى الاندلسيون وجوههم شطر المشرق يأخذون عن اعلامه ، وهى رحلة الطلب والتلمذة ، فلم يُطِلّ عصر ملوك الطوائف الا ومدرسة الاندلس النحوية قد استقرت ، وغدا شيوخهـا يقفون على قدم المساواة مع شيوخ المشرق ، وأصبح من النادر أن تعثر على من يطلب العلم عن المشارقة ، فقد اتضحت معالم الدراسة اللغوية فى الاندلس واكتملت ، وشعَر الأندلسيونَ بان لديهم حظا موفورا منها ، ولا أدل على ذلك من أن أعلام اللغة والنحو فى هذا العصر ، وهم ابن سيده (ت ٤٨٥) ، وابن الإفليلى (ت ٤٤١ هـ) وابنُ سِـــراج (ت ـ ٤٨٩) وأبو الوليد الوَقَّشِى (ت ـ ٤٨٩) والاعلم الشَّنْتَمَرى (ت ـ ٤٧٦) ، كل هؤلاء لم يخرجوا من الاندلس ، بل تلقوا العلم على شيوخها .

ومن الظواهر اللغوية فى عصر الطوائف أيضا نشاط حركة التأليف ، فقد صنَّفوا فى اللغة والنحو والقراءات ، وكان أبو الحسن بن ســـيده صاحب المحكم والمخصص وتقريب الغريب المصنف : معلما من معـــالم الحركة اللغوية فى هذا العصر وعصور الاندلس جميعــا ، وممن ألف فى النحو خطاب بن يوسف بن هلال الماردى (ت ـ ٤٥٠) صاحب التوشيح الذى يكثر أبو حيان من النقل عنه فى كتابه الارتشاف . ويقول عنـــه

صاحب إشارة التعيين : « وهو كتاب كبير (١) » . وله كتب اخرى ذكرها ابن خير فى فهرسته (٢) • وأبرز من صنفوا فى القراءات أبو عمرو عثمان ابن سعيد الدانى (ت ــ ٤٤٤) ؛ يقول الضبى : « تصدر بالقراءات ؛ وألف فيها وفى طبقات رجالها تواليف مشهورة كثـــيرة ؛ ورأيت بعض أشياخى قد جمع ذكر تواليفه فى جزء نحو مائة تأليف » (٣) •

وبجانب هذا النشاط فى التأليف ؛ قامت المدارس اللغوية فى امارات الطوائف بنشاط آخر ملحوظ نافست به قرطبة ؛ وذاعت الرواية والاجازة ؛ وأقبل الطلبة على تعلم العربية اقبالا يلفت النظر ؛ وعكفوا على كتاب سيبويه حتى حفظه بعضهم . وكان حفظه مظهرا من مظاهر النبوغ فى النحو كما ذاع كتاب الجمل للزجاجى ؛ الذى حمله الى الاندلس تلميذه أبو الحسن على بن محمد بن اسماعيل بن بشر الانطاكى (٤) (ت ــ ٣٧٦ هـ) فاحتفل به الاندلسيون ودارت حوله شروح ومطولات . على ان المدارس اللغوية فى الاندلس قد عُنِيت تمام العناية بتراث المشرق جميعه ؛فكتب المبرد وابن ولاد وابن السراج والرمانى والفارسى والنحاس وابن جِنى قد نظرها علماء الأندلس ، وعرضوها على ميزان النقد •

وقد لفت هذا الاهتمام بالنحو واللغة أبا محمد بن حزم(ت ــ ٤٥٦) وهاله أن يشتغل العلماء بذلك ؛ وأن تُستَنفدَ طاقاتُ الطلاب فى هـــذا البحر المائج ، وخَشِى أن يحـال بينهـم وبين ما ينبغى أن يتهيـأوا له من دراسة علوم الدين وأصولها ، فأبدى رأيه فى لون الدراسة اللغوية وما ينبغى أن تكونَ عليه ؛ وقدم منهجا دعا فيه إلى القصد والاعتدال .

---

(١) اشارة التعيين ، ورقه ١٩

(٢) انظر الفرسة ٣١٩ .

(٣) بقية الملتمس ٣٩٩ .

(٤) انظر فهرست ابن خير ٣٠٨ ، وبغية الملتمس ٤٠١

قال : « وأقل ما يجزىء من النحو : كتاب الواضح للزبيدى . أوما هو نحوه ، كالموجز لابن السراج . ومـا أشبه هذه الاوضـاع الحقيقية . وأما التعمق فى علم النحو ففضول لا منفعة بها . بل هى مشغلة عن الأوكد ومقطعة دون الأوجب والأهم .

فمن يزيد فى هذا العلم إلى إحكام كتاب سيبويه . فحسن الا أن الاشتغال بغير هذا أولى وأفضل ، لأنه لا منفعة للتزيد على المقدار الذى ذكرنا ، الا لمن اراد ان يجعله معاشا ، فهذا وجه فاضـل . لانه باب من العلم على كل حال .

والذى يجزىء من علم اللغة كتابان ، أحدهما : الغريب المصنف لابى عبيد ، والثانى : مختصر العين للزبيدى (١) » .

وواضح من نص ابن حزم أنه ينقد إقبال الطلبة عموما على التعمق فى دراسة النحو متمثلة هذه الدراسة فى كتاب سيبويه ومـا شـاكله مـن الموسوعات ، فدعا الى ان يتفرغ لذلك المتخصصون فيه . فأما طـلاب الحديث والفقه والاصول فيكفيهم القدر الذى قدمه لهم . ولقد حـدث ما تنبأ به ابن حزم ، فقد شهدت الأندلس بعد وفاته جمهرة من النحـاة العلماء قل أن يجتمع عددهم فى عصر واحد فى المشرق كله أو فى عصرين . وكان أبو الحسين بن الطراوة واحدا من هؤلاء العلماء . فلم يكـد ينتهى عصر الطوائف حتى كان ابن الطراوة وقرناؤه يقومون بواجب التدريس والتوجيه والتأليف ، وتُشغَل المجالس العلمية فى الامارات بآرائهم وتَعقُّب بعضهم لبعض ، بل ويمتدُّ نشاطهم إلى خارج الاندلس فهذا نَاحٍ من نحاة الاندلس ومن طبقة ابن الطراوة يدعى : عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد

---

(١) رسائل ابن حزم ٦٤ ـ ٦٥

الله اليابرى (ت ٥١٨) ؛ يقرأ عليه الزمخشرى بمكة كتاب سيبويه وكتبا أخرى (١) •

المرابطون فى الاندلس :

وقد عبر المرابطون إلى الاندلس سنة ٤٧٩ لما تفاقمت الاحوال وتهدد النصارى إماراتِ الطوائفِ بالأندلس ؛ وقد استمروا فى حروب مريرة ، ثم لم يستقم لهم الامر إلا فى سنة ٤٩٣ ؛ ومع ذلك لم تنعَم الاندلس على عهدهم بالاستقرار الا اعواما قليلة ؛ فكان المرابطون فى حرب دائمة ، ثم إن عهدهم تميز بأنه كان عهد الفقهاء ؛ فقد قربهم على بن يوسف بن تاشفين وآثرهم بالرأى والمشورة حتى استبدوا بالامر دونه ؛ وصاروا حكام البلاد ، يقول المراكشى : « ولم يزل الفقهاء على ذلك ، وأمور المسلمين راجعة اليهم وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم طول مدته ؛ فعظم أمر الفقهاء كما ذكرنا ، وانصرفَت وجوهُ الناس إليهم ، فكثرت لذلك أموالهم » (٢) •

ولقد صور أبو الحسين بن الطراوة فقهاء مالقة بقوله :

إذا رأوا جَمَلا يَأتى على بُعُدٍ مدُّوا إليه جَميعاً كفَّ مُقْتَنِصِ

أو جئتهم فارغاً لَزُّوك فى قَرَنٍ وإن رَأَوا رِشوةً أَفتَوك بالرخَصِ (٣)

وكان هؤلاء الفقهاء من علماء الفروع على مذهب مالك ، لاتعدو غايتهم ذلك ؛ ومن ثم حاربوا كتب الأُصول والفلسفة •

---

(١) انظر بغية الوعاة للسيوطى ٤٦/٢

(٢) المعجب ٢٢٥

(٣) بغية الوعاة ٦٠٢/١

وفى هذا العصر افتقد الشعراء الرعايةَ التى عُرفت فى عصر الطوائف ، وذلك راجع الى طبيعة المرابطين البدوية التى لا تقدُر الشعر ولا تتذوقه.

وما كان لهذه الاحداث السياسية والاجتماعية أن تؤثر على النشاط العلمى تأثيرا كبيرا فى هذه الفترة المحدودة (٤٩٣ ـــ ٥٤١) ، وهى الفترة التى عاشها المربطون بالاندلس ؛ وذلك بفضل الرعاية التى حظى بها العلماء والادباء منذ عهد الحكم المستنصر ، فاطرد تأثيرها واستمر ، وعرفت الاندلس على عهد المرابطين الأعلام فى كل فن ، فمن أئمة المحدثين والمفسرين والفقهاء أبو بكر بن العربى (بت ٥٤٣) ، وأبو الوليد محمد ابن أحمد بن رُشد ، (ت ٥٢٠) قاضى الجماعة بقرطبة .. ومن الشعراء ابن خَفاجة (ت ٥٣٣) والأعمى التُّطيلى ، وابن قزمان شاعر العامة .

وكان من غير الطبيعى أن ينقطع هذا الاهتمام باللغة والنحو فجأة، ولكن الظاهرة التى أمكن تسجيلُها هو أن هذه الفترة شهدت هجرة جماعة من شيوخ النحو واللغة ، على نحو لم يكن ملموسا ولا معروفا من قبل ، وليس هناك من تعليل لذلك إلا أن هؤلاء الشيوخ فقدوا ما رأوه بأنفسهم على عهد أمراء الطوائف من تشجيع وتكريم ، هذا الى اضطراب أحوال الدولة ، فهاجروا يلتمسون حياةً افضلَ ، فمنهم من دخل مصر ، ومنهم من ارتحل الى اليمن ، ومنهم من أقام بدمشق أو حلب ، ومنهم من تنقل بين مصر ومكة والعراق وخراسان (١) ومنذ هذا التاريخ عرفت الاندلس هجراتٍ متتابعة حتى خرجت من يد العرب .

بيد أن الأندلسَ اتسعَت مع ذلك لجماعة من أعلام النحاة ، لم

---

(١) انظر انباه الرواه ١٠٩/٢ ، ١١٠ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٥٣/٣ ، واشارة التعيين ورقة ٢١ ، ٥٠.

يخرجوا منها كما خرج هؤلاء السابقون ، وكان بقاؤهم دليلا على جدارتهم وأن الأندلس فى حاجة اليهم ، ومن هؤلاء الاستاذ ابو الحُسَين ابن الطراوة ، وأبو محمد بن السِّيد البطَلْيَوسِيّ (٤٤٤ — ٥٢١) . وابن الباذَش (ت ٥٢٨) ، وابن خُلصة (ت ٥٢١) وابنُ الرَّماك (ت ٥٤١) ، وابن الأبرش (ت ٥٣٢) ، وابنُ أختِ غانمٍ (ت ٥٢٥) ، وابن فَندلَةَ (ت ٥٣٣) .

النشاط اللغوى فى هذا العصر :

يمكن تصنيفُ علماء هذا العصر الى صنفين ، صنف منهما شغلته الرواية والتدريس عما سواهما حتى إنه لم يعرف بغيرهما ، وصنف آخر كان إلى ذلك صاحب مصنفات ومؤلفات .

وإنك لو رجعت الى فهرسة ابن خير فسوف ترى صورة زاهية لنشاط علماء هذا العصر ، وما يَدورُ فى حلقاتهم من مختلف المرويات ، وهذه المرويات على كثرتها واستفاضتها تتناول مختلِفَ ألوان الدراسة اللغوية والادبية ، ذلك أن النحوى ،كما عهدته الاندلس من منتصف القرن الرابع ، لم تكن دراسته وقفا على كتب النحو واللغة ، بل كانت تشمل الى جانب ذلك كتب الادب والشعر ، والشروح الادبية ، ومن ثم كانت دراسة النحو واللغة فى حلقات الشيوخ ممزوجةً بالدراسة النقدية ، ومضى العلماء على ذلك منذ عهد أبى على القالى ؛ وقد أُشار الى طبيعة هذه الدراسة ابن خلدون ، وهو يتحدث عن الملكةِ وصناعةِ العربية ، وأن الملكة غير الصناعة ، قال : « وأهلُ صناعة العربية بالأندلس ومعلموها أقربُ الى تحصيل هذه الملكةِ وتعليمها من سواهم ، لقيامهم فيها على شواهدِ العرب وأمثالهم ، والتفقهِ فى الكثير من التراكيب فى مجالس تعليمهم ، فيسبق الى المبتدىء كثيرٌ من الملكة أثناء التعليم ، فتنقطع النفس لها ، وتستعد الى

تحصيلها وقبولها (١) •

ولهذا يندُر ان تجدَ فى نحاة الاندلس من لا ينظم الشعر ، على عكس المشارقة الذين ندّت طباعهم ــ فى الغالب ــ عنه ، ولم يكن لهم فى جانب الابداع نصيب مذكور • وكان من ألقاب الأندلس « الاستاذ » ، لا يلقب به إلاصاحب الذوق المطبوع مــن النحــاة ، يقول القفطى فى ترجمــة ابن الطراوة : « ولا يلقب أحد ببلد الاندلس بالاســـتاذ الا النحوىّ الأديب » (٢) •

وكان من أعلام الرواية والتدريس على عهد المرابطين أبو عبد الله محمد بن عبــد الرحمــن المنعجى (٣) (ت ــ ٥٣٧) ، وأبو عبد الله محمد بن سليمان ابن أخت غانم ، وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن الرّماك • وكانت للرواية مراكزها المتناثرة فى أشبيلية وقرطبــة والمريّة وغَرناطة وشِلْب ومالَقَةَ •

أما النحاة أصحاب التصانيف فأشهرهم فى هذا العصر : ابن السّيد ، وابن الطراوة ، وابن الباذَش ، وسلامة بن غِياض (ت ــ ٥٣٤) •

بعض الاتجاهات فى مدارس هذا العصر :

ولقد ذاعت فى هذا العصر كتب أبى على الفارسى وتلميذه ابن جِنى ؛ وكان قد حملها الى الأندلس أبو الحسن على بن إبراهيــم التبــــريزى (ت ٤٢١) ، فأخذ عنه محمد بن هشام المصحّفى (٤) ، (ت ٤٨١) وعن المصحفى أبو الحسن بن الباذَش (٥) وابن مَعْمَر فاحتفلا بها ، وأقبــل

---

(١) مقدمة ابن خلدون ١٢٧٨/٤ •
(٢) انباه الرواه ، مخطوط ٣٩٨/٢
(٣) انظر فهرست ان خير ٣٠٦ ، وما بعدها
(٤) انظر المرجع المتقدم ٣١٨
(٥) انظر بغيــة الملتمس ٤٠٧

الناس عليها ، بيد أن ابن الطراوة قد حمل عليها وصنف « الإفصاح » فى نقد إيضاح الفارسي • وكان يرى أن هـذه الكتب لا تتضمن جديدا وانها لا تعدو ان تكون أسماء خالية من المضمون ، وأن الأجدر صرفهم الناشئين الى كتاب سيبويه ، والجمل للزجاجي ، والكافى لابن النحاس ، فهذه ــ كما يقول ــ تواليف مسندة ، ذات قوانين مقيدة ، وأما هـذا السيل الجارف المنسوب الى الفارسي وابن جنى فهو ــ الى انه لايفيد جديدا ــ قد خلا من شرط النقل عن الثقة • ومن الواضح أنه يُعـرِّض بابن الباذش وبمن روى عنه : يقول ابن الطراوة فى مقدمة الافصاح : « وكان الذى حذا إلى النظر فى هذا الكتاب « يعنى إيضاح الفاسى » تهافتٌ فى تفضيله على غيره من المختصرات المروية : وتظاهر المصَحِّفين لتقديمه على التواليف المسندة ، خروجا من شرط النقل عن اهل الثقة ، والإسناد إلى الأئمة ، حتى دَرَست آثار المتقدمين ، وضربوا على آذان السامعين ، وخلصوا إلى قلوب الناشئين » (١) •

ويردِّد هذا المعنى فى موضع آخر فيقول : « وغَبِنَ رأيُه من عدل عن التواليف المسندة والقوانين المقيدة : كالجمل والكافى ، وكتاب سيبويه الشافى ؛ وفرغ للايضاح والشيرازيات والخصائص والحلبيات ، ترجمةٌ تروق بلا معنى ، واسم يَهُول بلا جسم ، إلا تَشدُّقا بالكتب : وإحالة على الصحف ، وان هذا لهو الخسران المبين » (٢) •

على أن أبا الحسن بن الباذش كان ينافح عن هذه الكتب ، وقد ذكر ابن فرحون مؤلفاته فقال : « ألف فى النحو كتبا منها على كتاب سيبويه وعلى كتاب المقتضب وعلى الاصول لابن السراج، وشرح كتاب الايضاح، وكلامه على كتاب الجمل لابى القاسم ، وكلامه على الكافى لابن النحاس

---

(١) الافصاح ورقة ا: ٢
(٢) الافصاح ، ورقة ٩

مع التنبيه على وهمه فى مائة موضوع .. الى غير ذلك » (١) .

ومن هذه القائمة يتبين أن ابنَ الباذَش كان مَعْنِيًّا بتتبع ما اعتمده ابن الطراوة من الكتب ، مُعتَمِدا ما وَهَّمه ، ذلك أنه كانت له على كتب النحو المتقدمة كلام ، ما عدا الايضاح فإنه يشرحه ، بل إنه لينظم القصيد فى مدحه ، ففى إنباه الرواه أبيات يشيد فيها بالإيضاح ، ويراه الوسيلة إلى كتاب سيبويه ، ومنها :

أَضِـعِ الكَرى لتحفُّظِ الإيضـاحِ
وَصِـلِ الغُـدُوَّ لِفَهمِـهِ بِرَوَاحِ
هُوَ بُغيـةُ المتعلِّمِـينَ وَمَـن بَغَى
حَمْـلَ الكِتـابِ يَلِجْـهُ بِالمِفتَاحِ (٢)

واذا كان ابنُ الطراوةِ قد ألف الإفصاح فى نقد الإيضـاح ، فابن الباذَش يؤلف أيضا كتابا فى نقد الكافى الذى يراه ابن الطراوة أجدر من الإيضاح ، ويخطىء ابنَ النحاس فى مائةِ موضع .

هذا ويذكر ابن قاضى شهبةَ فى طبقاتِه أن لابن الطراوة رسالة فيما جَرَى بينه وبين أبى الحسن بن الباذش (٣) ، ولعل الزمن يجود بتراث هذين الرجلين ، حتى يكون الوفاء بحقهما وفاءً بتاريخ هذه الفترة التى بَرَزا فيها وكانا فيها كفرسَىْ رِهانٍ .

---

(١) الديباج المذهب ٢٠٥ ـ ٢٠٦
(٢) الانباه ٢٢٨/٢
(٣) طبقات ابن قاضى شهبة ، ورقة ٢٩٨ .

ب ــ حيــاته

نســـبه وبيئته :

هو أبو الحُسَين سليمان بن محمد بن عبد الله الســـبَئِيّ المالَقى ، لم أجد فى نسبه أكثر من هذا (١) ، وهو ما وجدته أيضــا على غــلاف مخطوطة « الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ فى كتاب الايضاح » ، على أن السيوطى ترجم له مرتين ، إحداهما ذكر فيها نسبه كما قدمناه ، ونقلها عن ابن عبد الملك . والأخرى ذكر فيها نسبه فقال : يحيى بن محمد الاستاذ أبو الحُسَين المعروف بابن الطراوة (٢) ، ويبدو أنه نقلهــا عن القاضى عياض . والراجح أن فى الترجمة الثانية تحريفا لسليمان بيحيى ، ففى كلتا الترجمتين أن القاضى عياضا كان تلميذا لابن الطراوة ، والشعر المنسوب اليه فى الترجمة الثانية وهو :

وَقَــائِلَةٍ : أتصْــبُو بالغَــوَانِى ... وَقَــدْ أضْحَى بِمَفْرِقِكَ النهــارُ

فقلتُ لهــا : حَفَضْتِ على التَّصَــابِى ... أحَــقُّ الخيــلِ بالركضِ المُعَــارُ

قد ذكره القفطى فى ترجمة ابن الطراوة سليمان بن محمد (٣)

أما السَّبَئِى فهذه النسبة كما يقول السمعانى : « بفتح السين المهملة ، والباء المنقوطة من تحتها بنقطة واحدة وفتحها ــ الى سَبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان » (٤) ــ ومن يتتبع تراجم الاندلسيين يَجِدْ أنهم حريصون

---

(١) انظر بغية الوعاة ٦٠٢/١ ، والمغرب فى حلى المغرب ٢٠٨/٢ ، واشارة التعيين ورقة ٢١ ، وبغية الملتمس ٢٩٠ .
(٢) بغية الوعاه ٣٤١/٢
(٣) انباه الرواه ، مخطوط ٣٦٩/٢ .
(٤) الانساب للسمعانى ، مخطوط بدار الكتب رقم ٢٦٦٨

على الانتساب إلى أصل عربى ، وفيهم كثيرون ينتسبون الى سبأ (١) ، وقد ذكر السهيلى من أوائل هؤلاء السبئيين : حَنَش بن عبد الله السَّبئى ، وقال : « جاز إلى الأندلس مع موسى بن نصير ، وهو الذى ابتنى جامع سَرقسطة ، وأسس جامع قرطبة أيضا فيما ذكروا » (٢) فلعل ابن الطراوة كان أحدَ أبناءِ هؤلاءِ السبئيين الأوائل الذين دَخلوا الاندلس ، وقد ذكر المَقَّرىّ أن القحطانيين الذين نَزلوا بالأندلس كانوا أكثر عددا . على أن القفطى قد ساق رواية عن أبى القاسم النحوى المالقى المدعو بالعلم ، يقول فيها إنه «كان بربريا من برّ العدوة ، أظنه من سَلا » (٣) .

هذا وأغلب الروايات التى انتهت إلينا تنسب أبا الحسين الى مالَقَةَ ــ نِسبةَ موطن ــ ولم يشذ عنها الا رواية العلم المتقدمة التى تنكر هـــذه النسبة وتجعله مغربيا من سلا وهذه الرواية تحول بيننا وبين الجزم بمولده وأيا كان موطنه الأول فان من المؤكد أن ابن الطراوة استقر بمالَقَةَ فعُرِف بها ، وقد كانت مالَقَةَ إحدى قواعد الاندلس الهامة ، ومن أُعظم ثغورها على البحر الابيض ، وقد اتسع عمرانُها بعد الفتح الاسلامى ونَشِطت فيها الحركة التجارية (٤) ، وما تزال مالقة Melaga إحدى مدن اسبانيا الهامة ، ولاتكاد تحتفظ بشىء من آثارها الاندلسية ، « وتبدو اليـــوم مدينة أوربية حديثة بكل معانى الكلمة » (٥) .

هذا وقد وصف الرواةُ شعره بأنه يلوح عليه رواء النعيم ، ويبـــدو

---

(١) انظر بغية الوعاة ١/٣١٠ ، ٢/٣٢٠ .
(٢) الروض الانف ٢/٢٤١ .
(٣) انظر بغية الوعاه ٢/٣٩٩ مخطوط .
(٤) معجم البلدان لياقوت : مالقة ، ورحلة ابن بطوطة ٤٣٨
(٥) الاثار الاندلسية الباقية ٢٤٢

أنه عاش أغلب حياته فى رغد من العيش ، فقد وجدته فى كتاب «الافصاح» ، وهو من أواخر كتبه ، يشكو الزمان ، فيقول : «فما يمكننا مع اختلال الحال ، وتقسيم البال ، وسوء العشرة هذا » (١) مما يدل على أن الدنيا قد تقلبت به على غير ما تعود .

(١) الافصاح ، ورقة ٣ .

- ٢ -

شيوخه وتلاميذه

شـــيوخه :

سَمِع ابن الطراوة كتابَ سيبويه على الأعلم يوسف بن سليمـــان (ت ـ ٤٧٦) ، كما أخذ عن أبى مروان عبد الملك بن سراج (ت ٤٨٩)، وروى عن أبى الوليد سليمان بن خلف الباجى (١) ، (ت ٤٧٤) وهؤلاء هم الشيوخ الذين تخرج عليهم فأما أولئك المعلمون الذين شدا عليهم النحو واللغة وغير هذين من علوم لعربية والاسلام فلم يقع لى واحد منهم •

وقد كان الأعلم ــ كما يقول ابن بشكوال ــ:« عالما باللغات والعربية ومعانى الاشعار ، حافظا لجميعها ، كثير العناية بها ، حسن الضبط لهـا مشهورا بمعرفتها وإتقانها ، أخذ الناس عنه كثيرا ، وكانت الرحلة اليه فى وقتــه (٢) » •

وكتب الأعلم ــ كما رواها ابن خير ــ شاهدةٌ بهذه المكانة ، فقـد شرح الاشعار الستة الجاهلية ، وأشعار الحماسة ، وله كتابان يدوران حول كتاب سيبويه ، أولهما : النكت فى كتاب سيبويه ، والثانى : عيـون الذهب فى شرح أبيات الكتاب ، وله مختصرات فى النحو ومسائل فى اللغة•

وقد التقى ابنُ الطراوة بشيخه الأعلمِ فى إشبيلية ، فأما شيخهعبد

---

(١) بغية الوعاة ٦٠٢/١

(٢) الصـلة ٦٨١

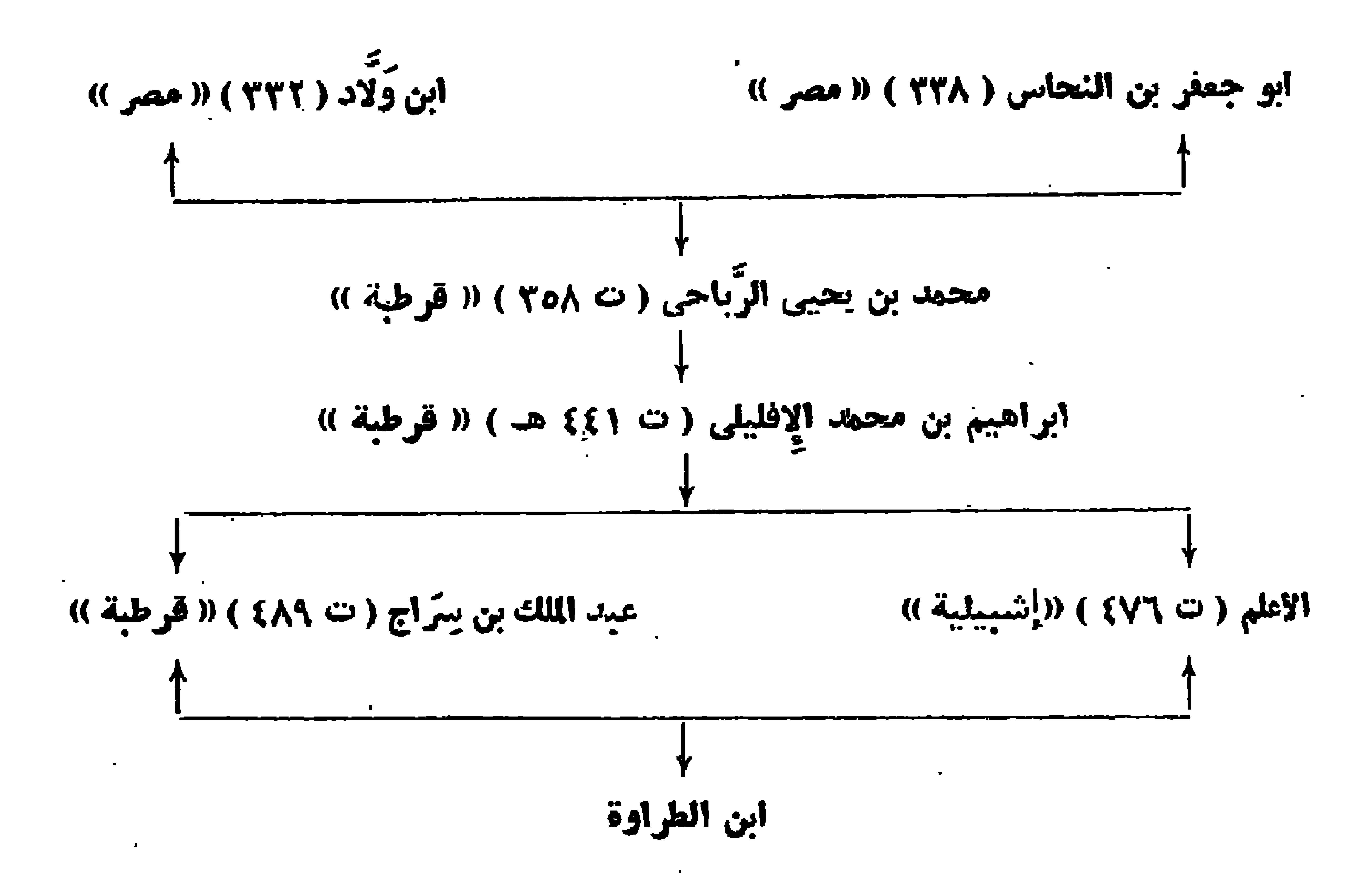
الملك بن سراج فكان إمام أهل قرطبة ، يقول الضبى : « كان رحمه الله إماما فى حفظ اللغات واللسان العربى ، لا يُجارَى فى ذلك (١) » . ويقول عنه ابن عات فى الريحانه : « برع فى علم اللسان ، وارتقى ذروته ، واعتلى درجته ، عكف على كتاب سيبويه ثمانية عشر عاما لايعرف سواه ؛ ثم درس الجمهرة فاستظهرها واستدرك الأوهام على المؤلفين ؛ وطال عمره مع البحث والتنقيب ، وكان يقول : طريحتى فى كل يوم سبعون ورقة (٢)» ويبدو أن ابن الطراوة قد التقى بشيخه هذا بعد أن أخذ عن الاعلم ، وأنه وقف منهما على « الكتاب » فاحكمه ، وبلغ فيه الغاية ، كما روى عنهما أشعار العرب وكتب اللغة ، وغير ذلك مما سبق ذكره فى التعريف بهما ، كما يبدو أن شيخه ابن سراج قد نَمَّى فيه ملكة النقد والاستدراك على المتقدمين ، فانطبعت بذلك مؤلفاته ودروسه (٣) ، وتأثر بهذا الاتجاه تلميذه السهيلى كما سنذكر بعد .

وقد ذكر ابن عات فى ترجمة غانم بن وليد المالَقِى (ت ٤٧٠) انه « كان أحد أفراد أهل الأدب والمحققين به ، وكان أهل الأندلس يعدون الأدباء فى ذلك الوقت ثلاثة : أبو مروان بن سراج بقرطبة ، والأعلم باشبيليه ، وغانم هذا بمالَقَة ، لكن زاد غانم عليهما بالفقه والحديث والطب والكلام (٤) » ولم يذكر أحد فى شيوخ ابن الطراوة غانما هذا ، ولعله التقى به وأخذ عنه إذا صَحَّت نسبة ابن الطراوة إلى مالقة ، وأنها كانت وطنه الأول . والذى يعنينا أن ابن الطراوة أخذ النحو عن اثنين من أعلام عصره المعروفين به ، وقد يكون مُفيدًا أن نذكر قائمة بسلسلة السند

---

(١) بغية الملتمس ٣٦٧ — ٣٦٨
(٢) بغية الوعاه ١١٠/٢ .
(٣) انظر النحو فى الاندلس للدكتور احمد كحيل ٢٤٣ .
(٤) بغية الوعاه ٢٤١/٢ .

التى ينمتى اليها ابن الطراوة ، حتى يتبين المنبع الذى استقى منه شيوخه الأندلسيون عن المشارقة :



وقد ذكر صاحب اشارة التعيين أن ابن الطراوة « أخذ النحو عن أبى الحجاج الاعلم ، وأبى بكر المرشانى ، وأبى مروان بن سراج ، وأخذ سيبويه عن الثلاثة (١) » . ولا أدرى من أبو بكر المرشانى هذا ؟

فأما ثالث الشيوخ الذين عَدَّدْناهم أولا ، وهو أبو الوليد الباجى فكان إماما من أئمة المسلمين ، ذلك أنه كان من أعلام الفقهاء على مذهب مالك . وهو أيضا من كبار المحدثين ، وقد كتب فى الفقه وأصوله وأصول الدين ، وفى الحديث : والزهد والرقائق (٣) ، وله مناظرات مشهورة مع أبى محمد بن حَزم الظاهرى (٤) ، ولقد أحس أبو الوليد بخطر الروم على المسلمين بالأندلس . فطاف على أمراء الطوائف يَندُبهم الى لم الشعث ومدافعة العدو (٥) . فكان أبو الوليد مِلْءَ السمع فى الاندلس ، ويبدو أن ابن الطراوة قد التقى به فى المَرِيَّة ، فقد توفى بها ســــنة ٤٧٤ ، وكان ابن الطراوة قد نيف على الثلاثين .

ذلكم بعض شيوخ ابن الطراوة وأعظمهم شأنا ، فأما الاعـــلم وابن سراج فقد اخذ عنهما أصول اللغة ، وأما شيخه أبو الوليد الباجى فقد أخذ عنه الفقه والاصول ، ولعله وجد فى مجالســه نَمَطا من الفكر المستنير ، بعث فيه حرية الرأى ، وجعله شديد الاستمساك بما يعتقده ، جريئا فى إعلانه ، قويا فى الدفاع عنه ، ولكنه اختار النحو والادب ميدانا له فعرف

---

(١) إشارة التعيين ، ورقة ٢١

(٢) من مدن الاندلس : مَرْشانة ، يقول ياقوت : « بالفتح ثم الســكون ، وشين معجمة ، وبعد الالف نون : مدينة من اعمال قَرْمُونة بالاندلس » ويقول الضبى فى بغية الملتمس فى ترجمة عبد الرحمن بن هشام بن جهور المرشانى ٣٥٩ : « من مَرشانة بكورة اشبيليه » .

(٣) ارجع الى فهرست ابن خير : ٨٦ ، ٢١٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨

(٤) الحلة السيراء ٢/١٢٨ ، والوفيات ٢/١٤٢ — ١٤٣

(٥) الحلة السيراء ٢/٩٨ .

بهما ، وغلبا على ما عسى أن يكون قد حصـله من علوم أخرى وشيوخ آخرين •

تلاميـــذه :

وقد خلف ابنُ الطراوة الأَعلَم ليكون رأسا فى طبقة جديدة من علماء العربية والادب ، وقد اضطلع بهذه الغاية أيما اضطلاع ،وأقبل عليه الطلبة ينشدون فقه هذه اللغة ودراسة أسرارها ، فشهدت حلقته النابغين الذين قُدِّر لهم ان يَرُودوا الطريق من بعده ، وكان إقبال مثل هذا الصـنف من الطلاب عليه شهادةً له بالامامة وبلوغ الغاية ، وقد عاش ابن الطراوة ليرى الجيل الاول من هؤلاء التلاميذ وقد تَصـدَّر للتدريس ؛ وليشهد اولى الثمرات نابهةَ المكانةِ فى الاندلس ، وكان من هؤلاء التلاميذ وتلاميذهم من أعلن انه على مذهب ابن الطراوة فى النحو ؛ وما علمنا من نحـاة الاندلس او غيرهم من تفرد بمذهب متكامل غير ابن الطراوة ، فكنا نسمع أن فلانا على مذهب البصرين ، وأن آخر على مذهب الكوفيين ، ولم نسمع أن نحويا كان على مذهب المبرد أو ثعلب أو غيرهما ؛ فاذا سمعنا نحـويا يقول إنه على مذهب ابن الطراوة فى النحو،فهذا دليل على أنه استطاع أن يقدم أسلوبا جديدا للدرس النحوى ، ومنهجا متميزا فى معرفة أسرار اللغة العربية وطريقة البحث فيها ، جعل تلاميذه يتعلقون به ، ويعلنـون انهم سائرون على نهجه ؛ وإنه اذا كان ابنُ الطراوة قد جال فى الاندلس طالبا ، فإننا نعتقد أنه حلَّ بغير بلدٍ أُستاذا ، فقد ذكره صاحب المغرب بأنه نحوى المَرِيَّةِ (١) ، ولعله نزل إشبيليةَ وغيرهَـا أيضـا قبل أن يستقرَّ فى مَالقةَ وسوف أورد ثَبَتاً بهؤلاء التلاميذ بحسب أُقدميتهم فى الاخذِ عن شيخهم ابن الطراوة :

---

(١) المغرب ٢/٢٠٨

١ ـ أبو مروان عبد الملك بن مُجير بن محمد البكرى المالقى (ت ـ ٥٥٠) ، قال ابن الزبير : « كان مقرئا نحويا فاضلا ، روى عن ابن الطراوة .. وروى عنه أبو زيد السهيلى ، ومات بعد الخمسين وخمسمائة » .

وقال ابن عبد الملك : كان من أهل المعرفة بالقراءات والنحو والادب ، ودرس ذلك طويلا » (١) .

٢ ـ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الرَّماكِ الاشبيلى (ت٥٤١) ، ذكر السيوطى فى البغية : « كان أستاذا فى العربية ، مدققا قيما بكتاب سيبويه ، أخذ عن ابن الطراوة وابن الأخضر ، ومات كهلا سنة احدى واربعين وخمسمائة » (٢) ، وقال عنه الضبى : « اقرأ النحو والادب باشبيليه (٣) » وقد روى عنه ابن خير كثيرا من كتب النحو واللغة والادب (٤) .

وكما تلمذ السهيلى لابن مجير تَلْمَذَ لابن الرماك أيضا ، قال عنه ابن دِحْيَةَ :

« ولزم الأستاذ الماهر النحوى أبا القاسم بن الرماك ، فلقن عنه فوائد فى النحو (٥) » ولم يجر له ذكر فى كتب السهيلى الا مقرونا بالتقدير ، ومن أقواله عنه « وكان إماما فى صنعة العربية (٦) » . ومن ترجمته يتبين أنه كان كشيخه ابن الطراوة أستاذا يقوم على صناعة العربية والادب .

---

(١) بغيه الوعاه ١١٤/٢
(٢) بغيه الوعاه ٨٦/٢
(٣) بغية الملتمس ٣٤٦
(٤) انظر الفهرست ٣٠٥ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ الخ
(٥) المطرب ٢٣٢
(٦) الروض الانف ١١٦/١ .

٣ ـ أبو محمد القاسم بن دُحْمان المالَقى (٤٨٥ ـ ٥٧٥) :

قال عنه ابن دحية : « قرأ كتاب سيبويه قراءة تفقه واتقان ، وبحث وبيان ، على نحوى أهل زمانه أبى الحُسَين بن الطراوة ، واختص به (١) » وقد أفاض ابن دحية فى الحديث عنه ، ومما قاله : « وكان ـ رحمه الله ـ إمام أهل زمانه فى الحرف والفعل والاسم ، والحد والرسم ، والتنكير والتعريف ، والصرف والتصريف ، ويذهب كل مذهب فى التعليل ، ويفضل رأى عمرو أبى بشر والخليل ، واذا وقع فى وادى الشعر فذو لسان طويل وباع عريض (٢) » . وقد انصرف فى أخريات حياته الى الاشتغال بالحديث والفقـــه .

وابن دُحْمان يعد من الجيل الاول الذين أخذوا عن ابن الطـــراوة ، فقد ذكر ابن دحية أيضا أن تلاميذ شيخه جلسوا إليه بعد وفاته ، وكان ممن أخذ عنه الاستاذ أبو القاسم السهيلى .

٤ ـ أبو محمد عبد الله بن فائد بن عبد الرحمن العكى (ت٥٦٠)

ذكر السيوطى :« كان لغويا نحويا ماهرا ، جليلا فاضلا ورعا ، أخذ عن ابن الطراوة وغيره ، ودرس اللغة العربية والقرآن بمالَقَــةَ ، وخطب بجامعها ، وكان متفننا فى العلوم (٣) »

٥ ـ أبو العباس أحمد بن حسن بن سيد الجُرَاوِىُّ المالقى (ت٥٦٠)

قال السيوطى أيضا : « من كبار النحــاة والادباء بالاندلس ، درس النحو والادب كثيرا ، وكان شاعرا كاتبا بليغا ، رَوَى عن ابن الطراوة ،

---

(١) المطرب ٢١٧ .
(٢) المرجع السابق ٢١٦ ـ ٢١٧
(٣) بغية الوعاة ٥٢/٢ .

ومحمد بن سليمان ، ابن أخت غانم (١) » وقد سَمَت مكانة أبي العباس هذا ، حتى بلغ صيته بنى عبد المؤمن فى مراكش ، فأدب ولده هناك .

٦ ـ على بن إسماعيل بن سعيد بن احمد بن أبى بن حزم الخزرجي الشـــارقى .

قال القفطى : « قرأ النحو على ابن طراوة المالقي (٢) » .

٧ ـ أبو بكر سليمان بن سَمحُون الأنصارى القرطبى (ت ٥٦٤)

قال ابن الزبير : « أستاذ نحوي أديب شاعر بليغ ، أخذ عن ابن الطراوة وغيره (٣) » وابن سمحون هذا هو الذى قال عن ابن الطراوة : « مايجوز على الصراط أنحى منه (٤) » .

٨ ـ أبو عبد الله محمد بن عبيد الله الخشنى المالقى (ت ٥٧٦) :

قال ابن الزبير : « كان أستاذا مقرئا ، نحويا فاضلا ، روى عن أبى عبد الله النُّمَيْرِى وابن الطراوة » (٥) .

٩ ـ أبو شَبْوةَ زُنبور بن يَعسُوب الحضرمى :

قال ابن مكتوم فى تذكرته : « نَحوِيٌّ من أصحاب ابن الطراوة ، له كلام مع « أبى » الحسن بن الباذش فى مسألة نحوية نقضها عليه » .

---

(١) المرجع المتقدم ٣٠٢/١
(٢) انباه الرواه ٢٢١/٢ .
(٣) بغية الوعاة ٤٦٨/١
(٤) اشارة التعيين ، ورقة ٢١ .
(٥) بغيه الوعاه ١٦٩/١

ويقول السيوطى : « أفادنى ذلك شيخنا أبو حيان ، ولم يعرف من حاله الا ما ذكرته (١) » .

ويبدو أن أبا شَبوةَ هذا من أصحاب ابن الطراوة الاوائل ، ودليلنا على ذلك ما جرى بينه وبين أبى الحسن بن الباذش ، الذى توفى سنة٥٢٨

١٠ ــ أبو محمد عبد الله بن حسن بن عشير العبدرى اليابسى :

قال السلفى فى معجم السفر : « كان مصدرا فى جامع الاسكندرية لاقراء الناس القرآن والنحو ، وله شعر كثير ، وكان أخذ النحو عن ابن الطراوة (٢) » . وقد ذكر القفطى أنه قال عن ابن الطراوة : لم أر مثله . وانه كان يعظمه جدا (٣) » .

١١ ــ أبو جعفر احمد بن على بن مجاهد التُّجيبى :

قال ابن عبد الملك : « كان نحويا ماهرا ، درس النحو وقت ، روى عن ابن الطراوة (٤) » .

١٢ ــ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعَمِىّ المالقى ، المشهور بالسُّهيلى (٥٠٨ ــ ٥٨١) :

يُعَدُّ السهيلى أصغرَ هؤلاء التلاميذ وأسيَرهم ذكرا ، واكثرهم فائدة

---

(١) المرجع المتقدم ٥٧٠/١
(٢) المرجع المتقدم ٣٨/٢ .
(٣) إنباه الرواه للقفطى ١١٥/٣ ، وقد ذكره ياقوت فى معجم البلدان عند الحديث عن يابسة ، وقال انه توفى سنة ٦٢٥ ، وهذا فى حاجة تحقيق ؛ اذ ان ابن الطراوة توفى سنة ٥٢٨ .
(٤) المرجع المتقدم ٣٤٤/١

فى التعريف بشيخه ، فقد توفى ابن الطراوة وهو فى العشرين من عمره أو لعله قد جاوزها بقليل ، وقد قدر لأصغر هؤلاء التلاميذ أن يكون أحفظهم لآراء شيخه بما خلفه من مصنفات ، سجل فيها مجالسه معه ، وكأنه كان يتأسى فى ذلك بصنيع سيبويه مع الخليل ، أو ابن جنى مع الفارسى .. وكان ترداده لآراء شيخه ــ وإن خالفه فى بعضها ــ دليلا على إعجابه به ، وانه من الماضين على منهجه ، وقد نجد دليلا على هذا الاعجاب فى حرص السهيلى على أن يأخذ عن تلاميذ شيخه الاوائل ، فبعد وفاة ابن الطراوة أخذ ــ كما نبهنا من قبل ــ عن ابن دُحمان ، وابن الرماك ، وأبى مروان بن مُجبر ، وكأنه كان يريد أن يستكمل ماحالت دونه منية شيخه ، ولو كان السهيلى كبقيةِ تلاميذ الشيخ الذين شُغِلوا بالتدريس والرواية عن التأليف والتصنيف ، فاننا كنا نجد كثيرا من المشقة والعنت فى التعريف بابن الطراوة ، نظرًا لفقدان أهم مصنفاته ، ولكان علينا أن نرجع الى النحاة من غير تلاميذ الشيخ وكانوا متحاملين عليه فيما نسبوا اليه ، فأما ما انتهى الينا من مصنفات السهيلى فقد أفاد كثيرا فى التعريف بالشيخ والتنبيه على بعض آرائه ؛ يقولُ ابن دحية فى التعريف بشيخه السهيلى : « وقرأ النحوَ على الاستاذِ النحوى أبى الحُسَين بن الطراوة »[1] .

وإنه اذا كان السهيلى قد عُرِف بالنحو وشهر به فإن له مشاركة فى كثير من الفنون ، دالة على انه كان ذا قدم ثابتة فيها ، وان مؤلفاته الباقية بيننا ، مثل : نتائج الفكر فى النحو ، والروض الانف ، والامالى ، وكتاب الفرائض وشرح آيات الوصية فى القرآن الكريم ، لتُدرِجه فى عداد المفسرين والمحدثين والفقهاء ، وعلماء الكلام . ولقد جَمَع السهيلى إلى ذلك علما بالأدب وبصرًا به ، وإن حديثه عن إعجاز القرآن الكريم وبلاغة النبوة ، هذا الحديث الذى لم يخلُ منه كتابٌ من كتبه على اختلاف موضوعاتها ــ

(1) المطرب ٢٣١

لدال على ما أوتيه من ذوق الاديب ، ودقة الحس ، وأن صاحبه قد اطال التأمل لكتاب الله . ولقد كانت له فى هذا المجال من النتـــائج ماينسب اليــه وحده (١) .

هل ناظر السهيلى شيخه ؟

من تمام التعريف بابن الطراوة وتلميذه أن نشيرَ إلى ما وقع فى بعض الترجمات من تحريفٍ ، ففى التكملة ورد هذا النص فى ترجمة السهيلى : « وناظر على أبو الحسين بن الطراوة فى كتاب سيبويه ، وسمع منه كثيرا من كتب اللغة والادب (٢) » ، وكذلك ورد فى تذكرة الحفاظ « وناظر فى كتاب سيبويه على أبى الحسين بن الطراوة (٣) »

والواقع أنه لم تحدث مناظرة بين الشيخ وتلميذه ، والعبارة بادية التحريف ؛ إذ كيف تتعدى « ناظر » بعلى ، أو كيف يستقيم اول الكلام فى التكملة مع آخره ، والصواب : « ونظرَ فى كتـــاب سيبويه على أبى الحُسَين بن الطراوة » وكذلك وردت العبارة فى اشارة التعيين (٤) .

موقف السهيلى من شيخه :

وقف السهيلى من أستاذه موقفا وسطا ، فإذا كان قـــد تأثر ببعض أصوله وآرائه فقد خالفه فى كثير منها ، وارتضى آراء وأصولا أخرى ، والامثلة على ذلك كثيرة تذكر فى موضعها ، ولكن يمكن القول هنا أن ابن الطراوة قد أرسى فى تلميذه حرية البحث والنظر ، ووجوب العــودة الى اللغة وتأملها ، فكان أن التقى الشيخُ وتلميذُه فى بعض المسائل ، واختلفا

---

(١) انظر دراستنا عن السهيلى ١٢٠ – ١٣٩ .

(٢) التكملة ٢/٥٧٠ – ٥٧١

(٣) التذكرة ٤/١٤٢ .

(٤) اشارة التعيين ، ورقة ٢٧ .

فى بعضها الاخر . ونمثل الان لذلك برأى ابن الطراوة فى الحال من النكرة فقد ذهب الى أنها مقيسة، وأنه قد يحتاج الى الحال من النكرة واستشهد على ذلك بالسماع ، ولكن السهيلى يقول : « والذى قاله الشيخ صحيح ، ولكن أكثر الكلام على ماقاله النحويون (١) »

وقد كان فى مجلسه يطيل الحوار معه ، حتى ليكاد يوقعه فى الحرج، ومما حكاه السهيلى من ذلك أن شيخه كان يرى أن « السين » و « سوف » من حروف المعانى التى لها الصدارة ، وبنى على ذلك انه يقبح أن يقال : زيدا سيضرب ، وزيد سيضرب ، وأنه ليس فى كلام العرب ذلك، إلا أنه اذا أدخلت « إنّ » على الاسم المبتدأ جاز دخول السين فى الخبر ، لاعتماد الاسم على « إنّ » ومضارعتها للفعل ، فيذكر السهيلى : « وقد قلت له كالمحتج عليه : أليس قد قال الله سبحانه وتعالى : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار) ، فجاء بالسين فى خبر المبدأ ؟! فقال لى : اقرأ ما قبل الآية . فقرأت : (إنّ الذين كفروا) . فضحك وقال : قد كنت أفزعتنى ، أليست هذه « إنّ » فى الجملة المتقدمة ، وهذه الأخرى معطوفة بالواو عليها ، والواو تنوب مناب العامل؟ فسلمت له وسكت (٢) » .

وقد كان ابن الطراوة مُعجَبا بتلميذه ، فقد سأله السهيلى عن العامل فى المصدر اذا كان توكيدا للفعل ، والتوكيد لايعمل فيه المؤكد ، يقول السهيلى : « فسكت قليلا ثم قال : ما سألنى عنه أحد قبلك ! » .

وفى هذه المسألة وجدنا السهيلى ينبه على ان شيخه قد غفل عن كلام سيبويه فيها ، فيقول بعد ذكر جواب شيخه : « ثم عرضت كلامه على

---

(١) نتائج الفكر ، ورقة ٥١ .

(٢) نتائج الفكر ، ورقة ٢٣ . وانظر دراسات لاسلوب القرآن الكريم للاستاذ محمد عبد الخالق عظيمه ٢/١٩٠ ــ ١٩٢ .

نفسى ، وتأملت الكتاب ، فاذا هو قد ذَهَلَ عما لَوَّح اليه سيبويه فى باب المصدر ، بل صرح .. (١) » .

هذا مثل من مآخذه على شيخه . وقد أخذ عليه أيضا حدته فى النقد : وتلك سمة ظاهرة فى كتابه الافصاح ، وقد وقع فيها السهيلى نفسه ،وربما كان متأثرا بشيخه فى ذلك ، يقول السهيلى عند الحديث عن أصل الفارسى فى فتح همزة إنّ وكسرها : « وكان شيخُنا أبو الحسين بن الطراوة يُعجَبُ من وَهَنه ، ويُفرِطُ فى تعنيف قائله (٢) » .

وما بعد هذا الا الاعجاب باستاذه الذى قد يختفى وراء : «وسألته»، أو « فذاكرت شيخنا » ، ونحو هذا . وقد يصرح به ، وذلك مثل ماذكره فى اعراب « رُبَّ » فى حديث : « ربَّ كاسيةٍ فى الدنيا عاريةٌ يوم القيامة » ، فقد قال:« وأجاز الكسائى ان تكون ربَّ اسما مبتدأ ، والمرفوع خبرها . وإليه كان يذهب شيخُنا أبو الحسين سليمان بن الطراوة السبئى ، ومنذ سمعتُ هذا القول لم أقدر أن أُعرِّج معتقدى عنه (٣) » .

ولما قدمناه لم يكن مقبولا على إطلاقه ماقاله أبو حيان ، فقد نقل السيوطى عنه : « وهذا الرجل « يعنى السهيلى » كان شاذ المنازع فىالنحو، وان كان غير مدفوع عن ذكاء وفطنة ومعرفة ، وإنما سرى إليه ذلك من شيخه أبى الحُسَين بن الطراوة ، فإنه لم يأخذ النحو الا منه (٤) ، وابن الطراوة — كما عليه كثير من النحاة — كثير الخلاف لما عليه النحويون . وقد صنف كتبا فى الرد على سيبويه وعلى الفارسى وعلى الزجاجى ..

---

(١) النتائج ، ورقة ٨٧
(٢) الامالى ،٤٥ .
(٣) الامالى ورقة ٢٥ لـ ٢٦ .
(٤) أخذ السهيلى النحو عن ابن الطراوة وتلاميذه ، ثم تلقاه عن شيوخ آخرين . ارجع الى دراستنا عنه ٤٧ — ٧٣ .

ورد الناس عليه ، ورمَوه عن قوس واحدة (١) »

فقد نوافق أبا حيان على ان السهيلى كان شاذ المنازع ، وأن شيخه كان كذلك ، ولا يعد الشذوذ عيبا إذا كان صاحبه يقيم رأيه على أساس وحجة، ولكن أن يقول : ان السهيلى قد سرى اليه ذلك من شيخه ، ويطلق القول فيه ، فهذا مالا نوافقه عليه .

هؤلاء ما أمكن الوقوف عليهم من تلاميذ ابن الطراوة ، ومن عرضنا المتقدم يتبين أنهم كانوا على شاكلة شيخهم علما باللغة والنحو ، وبصرا بالادب ، وأن منهم من كان يلازمه ملازمة الصحبة فقيل عنه : من أصحاب ابن الطراوة ، وهذا أمر سوف نحتاجُ إليه ونحن نُعرِّف بكتابه «الافصاح» ولقد حرص أصحابه على منهج شيخهم ، فكان من تلاميذهم من أخذ به ، فقد ذكروا فى ترجمة محمد بن طلحة (٥٤٥ — ٦١٨) أنه « كان يميل فى النحو إلى مذهب ابن الطراوة ويثنى عليه (٢) » وكان محمد بن طلحة هذا — كما قال ابن الزبير — : إماما فى صنعة العربية ، موصوفا بالعقل والذكاء والعدالة ، ودرس العربية والآداب بإشبيلية اكثر من خمسين سنة .

---

(١) الاشباه والنظائر ٢٠٥

(٢) بغيه الوعاه ١/١٢١ . وانظر اشارة التعيين ، ورقة ٤٨ .

- ٣ -

شخصيته وأدبه

شـــخصيته :

يُقصَد بالشخصية جميع ما يمتـاز به ابن الطـراوة من الصـفات الجسيمة والعقلية والخلقية ، والتى تُعطينا تصوّرا معينا له فى هذه النواحى فأما الجانب الاول وهو صفاته الجسمية فلم يقع لنا منها شىء ، ولم يكن ذلك الامر مما يعني به قُدامى المترجمين كثيرا ، ولو أن كتبه جميعا بين أيدينا فربما استطعنا أن نستنبطَ منها ما يُنبِّه على بعض أوصافه هـذه . وأما الحديث عن عقليته وأخلاقه فلعلنا نستطيعُ التنبيهَ عليهما اعتمادا على نصوص الاقدمين وما سجله بعض تلاميذه . ولقد كان مما أجمعوا عليه أن أبا الحسين كان أديبا، وأنه جمعَ الى العلم بالنحو والفقه فيه ملكة الشاعر وذوق الاديب المنشىء ، وهذا الوصف وحده كافٍ فى التنبيه على أنه كان متعدد الملكات ؛ ذلك أن العالم الذي يستطيع أن يقرىءَ تلاميذَه «الكتاب» ويغوصَ بهم إلى إعماقه ، ويكتبَ لهم عليه «مقدمات» تهديهم الى مسالكه ثم بعد ذلك يكون أديبا ينظم الشعر وينشىء الرسائل ، ويقربه الى مجلسه - كما سنعرف - أمير أديب ، يكون مثل هذا الرجل قدجمع آخص ما يتميز به العالم من النظرة الموضوعية ، وأخص ما يتميز به الأديب من الاحساس الوجدانى والقدرة على التعبير فى صورة خيالية مؤثرة ، وقلمـا تجتمع النظرتان فى انسان واحد إلا وطغت إحداهما على الاخرى ، ولذلك تراهم يقولون : إن فلانا شعره شعر عالم ، تنبيهًا على أن شعره لا يمكن أن يزهر فى روضة الشعراء ، وأن صاحبه لم يطرق دَربهم . قليل ما أولئك الذى جمعوا الى الفقه فى العلم ملكة الشاعر وذوقه ، والعباقرة وحـدهم هـم الذين يخرجون عن القاعدة العامة ، فتراهم يُسلكون فى نظام الشعراء ، كما يحسبون فى عداد العلماء ، ومن هؤلاء أبو العلاء المعرى (٣٦٣ - ٤٤٩) الذى ادركه ابن الطراوة وسمع به . على أنه ليست هناك حدود فاصلة بين العلم والادب ، وبين العالم المبدع والاديب ، العالم المبدع -

كما هو مقرر ــ يقوم إبداعه على نوع من الخيال والتصور يمنح صاحبه القدرة على التحليل والتركيب وبناء النتائج على المقدمات ، والاديب هو الذى يَبُث أفكاره من خلال الصور ، أو يقدم أفكــــاره فى ثوب من الخيال .. ولقد كان ابن الطراوة عالما مبدعا ، كما كان شـــاعرا ناثرا والابداع فى النحو لم يكن معروفا فى الاندلس ، فكان سببا فى أن تعرض لحملات متتابعة . ومن شأن العالم المبدع ، أو من أخص خصـــائصه ، الحرية فى التفكير وإباء التقليد ، وكذلك كان ابن الطراوة فى كتبـــه وفى مجالسه مع طلبته ، ينبه على هذه الحرية ويبثها فيهم ، وقد وقع لى من نصوصه الفريدة قوله : « ولا تثريب علينا فيما نُلِمّ به من الخلاف عــلى سيبويه ــ رحمه الله ــ فى اليسيرمن نظره ، لا فى شىء من نقله ، لأنّ تقليد الصادق فى نقله واجب ، والاعتراضَ عليه فى نظره جائز ، فمــن تَمَّت له التفرقة بين الحالتين عُوفِى من إنزال الظنة بنا ، وَأراح الحفيظين مما نخوض فيه من أمرنا (١) » يقول هذا فى الاندلس حيث كان النحاة يُنزّهون سيبويه عن الخطأ فى شىء من قوله أو نظره ، ويقول فى موطن آخر : « ومانصه سيبويه ــ رحمه الله ــ من النَّصْب ، فيه من الوهم الذى لا انفكاك للانسان منه ، ولا مَحِيدَ لأحد عنه » (٢) ؛ فاذا وازنا بين موقفه هذا من سيبويه ، وموقف الزبيدى ــ أحــد شيوخ الاندلس المتقدمين ــ من الخليل ، وكان أهل الاندلس قد تحاملوا على الزبيدى حين أخذوا عليه أنه كان يعترض على الخليل ، فقد وصفَ الزبيدى هؤلاء المتحاملين عليه بأنهم تَسرَّعوا بالقول فيه والتشنيع عليه ، وقال : « أوليس من العجب العجيب ، والنادر الغريب ، أن يتوهم علينا من به مُسْكة من نظر أورَمَق من فهم ، تخطئةَ الخليل فى شىء من نظره ، والاعتراضَ عليه فيما دَقَّ أوجَــلَّ من

---

(١) الافصاح ، ورقة ٢ ، ٣

(٢) الافصاح ، ورقة ١٧

مذهبه » (١) ـ اذا وازنا بين هذين الموقفين ، أدركنا الفرق بين الرجلين ، فأما ابن الطراوة فلعله كان من أوائل الاندلسيين ، أو لعله كان أولهم ، حين دعا نحاة عصره الى التفرقة بين ما ينقله سيبويه ، وبين نظره ـ في هذا المنقول ؛ فأما الأول فهو من الثقة بمكانٍ لأنّ ناقله ـ وهو سيبويه ـ مُصَدَّق ، وأما الثاني وهو رأى سيبويه في هذا المنقول وتفسيره له ، فهو محل الأخذ والردّ ، ولكن ابن الطراوة يقول : ان مآخذه على سيبويه قليلة لاكثيرة ، ويعتذر له بأنه بشر ، وأن ما وقع فيه مما لامَحِيد للانسان عنه . ولو أن النحاة من بعده وقفوا هذا الموقف لكان نتاجهم اللغوى غير مانرى من توجيه لكل قول وانتصار له ولعرفنا لهم آراء جديدة في اللغة .

ولا يمكن أن يصدرمثل هذا الموقف الا عن شخص يعتقد أنه أهل لأن يقول ، وأنه ليس دون غيره في المجال الذى يطرقه . ولقد كان ابن الطراوة واثقا أتم الثقة في نفسه وفى أهليتها للبحث والمناقشة ، ولذلك تعقب السابقين من أمثال سيبويه والزجاجي والفارسى ، ودارت بينه وبين ابن الباذش ـ معاصره ـ رسالة مشهورة ، ومن يتحدى الناس فيما أَلِفُوه ينبغى أن يكون مستعدا لتلقى سِهامهم دون أن يثنى ذلك من عزمه ، أو يَفُلَّ من إرادته . وقد كان ابن الطراوة كذلك دائما بل كان ذلك كله لايحول بينه وبين أن يأخذ من الحياة بشىء من المتعة ، وأن يكون له مجلس شُرب وندامى ، وأن يحمله الطرب على ان يقول الشعر فيمن يهوَى ويُحب ، وكان قد جاوز الشباب والكهولة ، كما سنبين ذلك عند الحديث عن شعره ؛ ولعله كان يَستَرْوِحُ بهذه الحياة اللاهية ليستأنف بعدها القول كما يريد ، فلم تكن هدفا في ذاتها ، وإنما كانت وقفة الى حين .

ولقد قَدَّمنا من النصوص ما يُفِيد بأن أبا الحُسَين كان صاحب مِزاج حَادٍّ عنيف ، وتلك سمة تكاد تكون لازمةً لأمثاله من أصحاب الشخصيات

---

(١) المزهر ٤٠ .

القوية ، والملكات الفنية . فيكون صاحبها مُرهَف الحس لايمـــالىء ولايدارى ، بل يقول ما يعتقد أنه صواب ، ويعنف على مخالفيه فى الرأى لاتأخذه فيهم لومة لائم .

تلك بعض ملامح أبى الحُسَين كما أفصحت عنها النصوص الواردة ؛ ومنها تراه رجلا يتسم بالحرية فى تفكيره وفى مسلكه ، متعلقا بالوان الحياة الزاهية ، واذا استطاع مع هذا أن يكسِبَ مودّة تلاميذه وتوقيرهم ودفاعهم حيا وميتا ، فهذا أدل شىء على أنه بلغ من عقولهم وأنفسهم مبلغا كريما .

الاديب :

كانت صورة النحوى فى الأندلس ، منذ أن استقام أمر الدراســة النحوية فيها تَعنِى أن صاحبها من القائمين على دراسة العربية والادب ، ولقد قدمنا ـــ ونحن نعرف بالنشاط اللغوى فى عصر ابن الطــراوة ـــ نموذجا لما كان يدور فى حلقات الشيوخ من مختلف المرويات فى اللغة والادب ، وقلنا هنالك : ان لقب « الاستاذ » كان لايُمنح إلا لمن جمع بين صناعة العربية والادب ، وأن ابن الطراوة كان أحد الاساتذة المقــدمين المشهود لهم فى هذا المجال ، وذكرنا هنالك أيضـــا ما رَجَونا ان يكون استنتاجا صحيحا ، وهو أن أبا على القالى النحوى والاديب ، كان الصورة المثلى لمن جاء بعده من النحاة ، حتى يحظَوا بالقرب من مجالس الامراء ؛ فأقبلوا على أشعار العرب يحفظونها ويدرسونها ، ومن هنـــا نما ذوقهم الأدبى ، وقد نَبّه على هذه الظاهره ابن خلدون ، وقدمنا كلامه فى ذلك . وقد أفادت الدراسةُ النحوية فى الاندلس من هذا المنهج التعليمى ، وكانت استدراكاتهم على المتقدمين ترجِعُ فى أغلبها إلى مدارسة هذه النصوص وتأملها .

بيد أنى أريد أن أنبه هنا على أدب أبى الحُسَين الإنشائى ، ذلك الأدب

الذى يُعبّر عن الحياة ويصور العواطف الانسانية ؛ وقد أجمع المترجمون أنه كان شاعرا ناثرا ؛ يقول القاضى عياض : « جالسته كثيرا ، وحضرت مجالسه فى الأدب ، وأخبرنى بملح وفوائد ، وأنشدنى كثيرا من شعره ومناقضاته الحصرى وغيره » (١) . أما الحُصْرى الذى ناقضه فهو : أبو الحسن على بن عبد الغنى الحُصْرى القَرَوِىّ (ت ٤٨٨) ، وليس أبا إسحق إبراهيم بن على بن تميم الحصرى (ت ـ ٤٥٣) صاحب زهر الآداب . وقد سجل القفطى شيئا من هذه المناقضات ، ومما قاله ابن الطراوة فيه :

إذا الحُصْرِىّ اللئيمُ انتخَى (٢) ... وظَلَّ بهذا الوَرَى سَاخِرَا

وَأَنْسِى ما كانَ فاذْكُرْ لَهُ ... عَلِىَّ بنَ بَكَّارٍ الشَّاعِرَا

وقد كان الحُصْرى هذا عالما بالقراءات والنحو ، حريصا على أن تكون له مكانة عند أمراء الاندلس (٣) . ويبدو أن هذا هو الذى أشعل المنافسة بينهما الى حد غير كريم .

وقد ذكرنا من قبل أن ابن الطراوة كان حريصا على أن يأخذ من الحياة حظا من المتعة ، وأنه كان له مجلس شرب ونَدامى ، وقد نقل المقَّرِىُّ صورة هذا الجانب من حياته ، فيقول : « وحكى أن أبا الحسين سليمان ابن الطراوة ، نَحوِىّ المَرِيَّة، حَضَر مع ندماء ، والى جانبه من آخذ بمجامع قلبه ، فلما بلغت النوبة اليه استعفى من الشرب وأبدى القطوب . فأخذ ابن الطراوة الجام من يده وشَرِبها عنه ، ويا بَرْدها على كل كبده ! ثم قال بَدِيهًا :

---

(١) بغية الوعاه ٢/٣٤١ .
(٢) يقال : انتخى فلان علينا ، اى : افتخر وتعظم .
(٣) بغية الوعاه ٢/١٧٦ .

يَشْرَبُهـــا الشـــيخُ وأمثـــالُـه
وَكُـــلّ مـــن تُحمَــدُ افعَـــالُـه

والبَكْــرُ إن لَّم يَسْتَطِعْ صَــولَةً
تُلقَى عــلى البــازِلِ أثقَــالُه (١)

ودخل عليه ــ وهو مع ندمائه ــ غلام ، والكأس فى يده ، فقال :

ألا بِــأبى وغــيرِ ابــى غَــزالُ
أتَــى وَبراحِيــه للشَّــربِ رَاحُ

فقال مُنادمى : فى الحين صِفْه (٢)
فقلتُ : الشمسُ جــاءَ بهــا الصباحُ

وقال فين جاء بالراح :

ولمــا رايتُ الصــبحَ لاحَ بخــدِّه
دَعَوتُهمُ : رِفقــاً تَلُحْ لكُمُ الشمسُ

وأطلعها مثل الغَزالةِ وَهْوَ كالغَزالِ فتمَّ الطيبُ واكتملَ الأُنسُ

وقال وقد شرب ليلة فى القمر :

شَرِبنــا بمصباحِ السماءِ مُدامةً
بشــاطِى غَــديرٍ والأزاهـرُ تَنفَحُ

---

(١) قيل : يشير الى قول جرير :
وابن اللبــون اذا مــالزّ فى قَرَن لم يستطع صــولة البُزل القناعيس
والقنعاس : الجمل الضخم العظيم . والبكر : الفتى من الابل .
والبازل من الابل : ما بلغ التاسعة .

(٢) فى نفح الطيب : « فى الحسن » . والمثبت عن المغرب فى حلى المغرب ٢٠٨/٢ ــ ٢٠٩ .

وَظلَّ جهولٌ يرقبُ الصبحَ ضَلَّةً

ومن اكؤسٍ لم يبرَحِ الليلُ يُصْبِحُ (١)

وذكر المقَّرى أيضا فى موطن آخر : « وقال أبو الحُسَين سليمان ابن الطراوة المالقى :

وَقَائلةٍ : اتَصْبُو للغَوانى (٢) وقد اَضْحَى بِمَفرِقِكَ النهارُ

فقلتُ لها حَثَثْتِ على التَّصابى (٣) (اَحَقُّ الخيلِ بالركضِ المُعَارُ) (٤)

وهى أبيات دالة على أنَّ ابن الطراوةِ النحوى ، كان يسلُك فى حياته مسلك أدباءِ عصره ؛ دون أن يرى فى هذا السلوك مايسكن أن يُعابَ به أو يؤخذَ عليه ؛ ولقد كان حريصا على أن يحيا هذه الحياة ؛ ومن ثم فنحن لا نجد له مشاركة ما فى العلوم الاسلامية الاخرى ، مثل الحديث والتفسير والفقة ، هذه العلوم التى كان علماءُ الاندلس يأخذون منها بنصيب وافر ؛ وكانه قَنِع بوصف الأستاذ الأديب .

ولقد ذكر صاحب المُغرِب (٥) أن له أمداحا فى المعتصم بن صُمادِح ، (٤٢٩ — ٤٨٤) ، وفى على بن يوسف بن تاشفين (٤٧٧ — ٥٣٧) ، فأما المعتصم فكان صاحب المَرِيَّة وبِجَاية ، وكان شاعرا أديبا ، يقرِّب الشعراء ولهم فيه مدائح ، وهو صاحب الأبيات التى أولها :

---

(١) نفح الطيب ٤/٣٥٥

(٢) فى الانباه : « تكلف »

(٣) فى الانباه ايضا : « حضضت » . وفى بغية الوعاة ٢/٣٤١ : «خضبت»

(٤) نفح الطيب ٦/٦٥ ، والشطر الاخير مقتبس ، وينسب للطرماح او لبشر بن أبى خازم ، انظر اللسان ، مادة : عار .

(٥) المغرب فى حلى المغرب ٢/٢٠٨ — ٢٠٩ .

وَزَهَّدَنِى فى النــــاسِ مَعْـرِفَتى بِهِمْ
وَطُولُ اختبارِى صَاحبًا بعدَ صاحِبِ

وقد عاش فى المرية الى أن أخرجه عنها يوسف بن تاشفين ؛ فأين مدائحُ ابن الطراوةِ فى المعتصم هذا ، وفى على بن يوسف ؟ لقد ذهب بها ماذهب بأغلب آثاره ، وربما جاد الزمان بها يومًا ، على أن ما انتهى الينا من أبيات يدل على أن أبا الحُسَين قد أُوتى طبع الشاعر وخياله ، وكان يتوسل بهذا أن يكون له شأن فى قصور أمراء الاندلس والمغرب .

وأما رسائلُه التى أشار اليها السيوطى (١) فلم يقع لى منها شىءٌ ، وربما تَلَمَّسنا بعض خصائص نثره من تعقيباته فى كتابه « الإفصاح » ، الذى تَعرَّض فيه لنقد إيضاح الفارسى ، ومنها : « وإنما قَصــدنا الى الإفصاح ببعض ما وقع فى هذا الكتاب من الخطأ والتقصير ، مما تَفَرَّد أو خرج عن نَصِّ سيبويه ، فأما ما سوى ذلك مما قال فيه مع غيره ، فأكثر من أن أُحصِيَه ، وأبعدُ مشقةً من أن أستوفيَه ، وقد بَيَّنا القدر فيما تقدم ، وأطلنا لمن أنكر أو سَلَّم » (٢) .

وانظر إلى قوله وهو يحلِّلُ بعضَ التراكيب ، وذلك عند قوله تعالى : (ولعبدٌ مُؤمنٌ خيرٌ من مُشْرِك) و (أصحابُ الجنةِ خيرٌ مستقرا) ، فقــد أضاف إلى ذلك أن العرب تقول « العسل أحلى من العَلْقم » ، ويقول : « فإن هذا كلَّه من التبصير لا من بابِ التفضيل عليه ، كما تقول العربُ : السعادةُ أحبُّ إليك أم الشقاء ؟ وقد علم أنه « لا » يقول الشقاء ، ولكنه بَصَّره بأن جعل له الشىءَ إلى جَنْب ضدِّه ، فيتخيلُ ذلك فى ذهنِه حِسًّا ، فيثُور للنفسِ من الطبع كاسرٌ يزجرُها عن المكروهِ منهما ؛ لان أخلاقَ النفسِ

---

(١) بغيه الوعاه ٦٠٢/١

(٢) الافصاح ، ورقة ٤ .

تابعةٌ لِمزاج البدَن ، وللعربِ وغيرِهم من الأُمم فى « هـــذا » النحو حِكَمٌ وأقاصيصُ أغنَتْ شهرتُها عن إعادتها ، وبالله التوفيق » (١) .

واستمع اليه يختم نقدا للفارسى فى تحليل بعض التراكيب : « وهذه إشارة يسيرة فيما تنطوى عليها هذه الأبواب من وجوه النظـــر وتزاحُم المعانى عليها ، وإنما لَوَّحت لك بهذا ليكون منك بتفقّدٍ وَكيد ، واعتناءٍ شديد ؛ فإن هذا الرجل لفَّ القولَ فيها على غيره ، ولم يفرّق بين حلوه ومرّه ، وما اختصره سيبويه فى صفحات كثيرة بسطه فى كلمات يسيرة ، فصارَ الناظرُ فيه بين فوتِ الراحة وعدم المعرفة . وكلام سيبويه أسهل للفكّ ، وأجلى للشكّ ، وأقربُ للمتأوّل ، وأشرف للمُجاوِلِ ، من هـــذه الخُزَعبلات ، والأسماء المَهُولات ، وبالله التوفيق » (٢) .

هذا ، وإن ما قدمناه من نصوص له فى مواضع مختلفة ، وما نَسُوقه له عند الحديث عن كتابه الإفصاح ، وبيان آرائه فى النحو ، لدالٌّ على أن الرجل كان صاحب بيان وأداء ، وأنه كان واضحَ العبارة ، قويَّ العارضة ، مالكا لزمام الفكرة ، قادرا أن يعبّر عنها وإن دَقَّت ، وتلك ناحية تفسّر لنا إقبال الطلبة عليه ، والتفافهم حوله ؛ وإنك لورجعتَ إلى السهيليّ فى كتبه فسوف تجدُه متأسيا بشيخه آخذًا بنمَط عبارته فى كلامه ، فى مثل هذه التعقيباتِ التى يحرِصُ فيها على جَمال الجرس ، المتمثّل فى تلك السجعات المتتالية فى ختام كل موضوع ، وكأنه يُعلِنُ بموسيقاها أن الأمر قد انتهى ، وأنه قد أصاب الغرض ، وانتهى إلى الحقيقة ، استمِعْ إليه يقول فى ختام بعض بحوثه : « فإذا فَهِمْتَ فرق ما بينهما ، بعد تأمل هـــذه الفصـــول وتدبّرها ، ثم لم تَعْدِل عندك هذه الفائدةُ جميعَ الدنيا بأسرها ، فما قَدَرْتَها

---

(١) المرجع المتقدم ، ورقة ٣ .
(٢) المرجع المتقدم ، ورقة ١٢ .

حقّ قَدْرِها ، والله المستعان على واجب شكرها » (١) ؛ وقد أضحى هذا النمط فى التعبير من معالِم أسلوب السهيلى، ولعله أعجبه هذا من شيخه ، وكان فى مطلَع الشباب ، فملك أداءُ الشيخُ به نفسَه ، وظل مستمسكا به طيلةَ حياته . ولو أنه قُدِّر أن يحيا تُراث هذا الرجلِ ، لسوف نسمعُ عجبا ، ذلك الذى ملأَ الأَسماعَ فى الأندلسِ ، وكان به عَلَماً من أعلام وقته .

(١) النتائج ، ورقة ٩٥ .

— ٤ —

كُتُبُه

من الشيوخ من كان يشغَله التدريسُ وتخريجُ التلاميذ عن التأليف والتصنيف ، ولايكاد يخلُو عصر من عصور الثقافة الاسلامية من هـذا الطِّرازِ من العلماءِ الأَجلَّاءِ الذين شَهِد لهم تلاميذُهم بالكفاية وأثنَوا عليهم ثناء عاطرا . على أن هناك شيوخًا آخرين جَمَعوا بين التدريس والتأليف ؛ ومثلُ هذا الصنف من العلماء تراه أبقَى أثرا من الأُولين ؛ ذلك أن هذه المؤلفات تكون له شاهِدَ صِدْقٍ على ما بلغه من مكانة ، فمنها يَقِف الدارِسُ على مكوّناته العلمية ، وطرق تفكيره ، وآرائه . ولولاها لكان الحديث عنه مجملا يتسم بالعمُوم ، ولا يَملِك الدارِسُ أن يقول إلا ما انتهى إليه من كلمات تلاميذِه ومعاصريه .

ولقد كان لأبى الحَسَين مصنفات كثيرة ، أشار إليها المتقدمون ، وأحال هو عليها جملة فى قوله : « قد بينا فى غير موضوع من كتبنا .. » (٢) ، ونبَّه على بعضها بالاسم . وسوف أحاول أن أعرف بكتبه ما وجد منها وما فُقِد ، مرتبا لها ترتيباً زمنياً ، ومعرِّفا بمنهجها ، وذاكرا ما وقع لنا من نصوص كتبِه المفقودة ، فمنها نُلقِى بعض الضوء عليها ، وذلك على النحو التالى :

١ ـ المقدّمات الى علم الكتاب ، وشرح المشكلات على توالى الابواب :

هكذا ذكر ابن الطراوة اسم كتابه مَرّتين فى كتابه الإفصاح (١) ، على

---

(١) الافصاح ، ورقة ١٣

(٢) الافصاح ، ورقة ٤ ، ١٦

أنه ذكره مرة فقال : « المقدّمات الى علم الكتاب » (٢) ، ثم اكتفى بعد ذلك بأن كان يقول : « المقدّمات » وذلك فى نحو سبع عشرة مرة . فأما المترجِمون له فكانوا يكتفُون عند ذكر هذا الكتاب بقولهم : « المقدّمات على كتاب سيبويه » (٣) .

ومن هذا العنوانِ يُمكِن أن نتصوّر موضوع « الكتاب » . فليس هو شرحا لكتاب سيبويه ، ولكنه يشتمِلُ على مسائلَ تعرِّف بمنهجه وتحلّ مشكلاتِه ، وكأنه جَعله مَدخلا للذين يريدون أن يدرُسوا « الكتاب » دراسة فقه وإمْعان . على أنه يبدو أن ابن الطراوةِ لم يقصِر كتابه على هذه الغاية ، بل كان معنيًّا إلى ذلك ببيان آرائه ما خالف فيها سيبويه أو غيره ، على نحو ما يتبين فى النص التالى :

« قال ابن مكتوم » فى تذكرته :

قال ابن الطراوة فى « المقدمات » فى قول سيبويه : (باب ما يحمل الاسم فيه على مرفوع ومنصوب) بـ : كلامه فى هذا الباب صحيح ، وعارضوه بأوهام كثيرة ، فوقفت عليها وعلى بعضها من كتب الشارحين . وإنما أوقع لهم الشك توهّمهم أن الواو عاطفة ، ولم يعرضوا للجامعة بحرفٍ . وقد أشرتُ إليها فى قوله : « ما مثل زيد ولا أخيه يقول ذاك ، ويقولان ذاك » ، على معتقدى فى الواو .

وأظرف ما رأيتُ من هذا الجهلِ قالوا : والجامعة شيء نصـــه

---

(١) المرجع المتقدمة ، ورقة ٥ .

(٢) انظر بغيه الوعاه ٦٠٢/١ .

الفَسَوِىّ (١) فى الإيضاح ، فإنه بسط القول فى التأنيث والتذكير ، فكان فيما ذكر أن التاء تحذف مع المؤنث من غير الحيوان — وعدد منه ضُروبات — قال : (وجُمِع الشمسُ والقمرُ) ، فأدخله فى باب ما يحذف منه التاء ، والأصل استعمالها ، ولم يفطن لما نحن بسبيله من الواو الجامعة ، وأل التاء لاتجوز هنا البتة وانما اختبرْتك بهذا لِتَعلم أن هذه الاصول التى أُغفِلَت من أوكدِ الواجباتِ إِحكامُها ، والأخذ بما يتوهم فيه نقضهـا وإبرامها » .

ويقول ابن الطراوة متابعا :

« وهذه الحال نفسُها هى أوقعت خواص أهل الاندلس فى طرح الواو من قولك : (وصلى الله على محمد) (٢) ؛ إذ توهموها عاطفة فاختلفت آراؤُهم فيما وَضَعوا مكانها واتفقوا على إسقاطها ، تقصيرًا بالسلف وتمرُّسا بالخَلَف ، مع العُجْبِ بأنفسهم ، والغفلة عما تورَّطوا فيه من جهلهم ! ومن الحقِّ على من لايعلم أن يقتدِىَ بمن تقدّمه ، ولا يُرسِلَ فى الباطلِ قدمُه ، لاسيّما فيما نقلته الكافةُ ، وأطبقت عليه الأمّة » (١) .

ومن النص المتقدم ترى أن ابن الطراوةِ لم يكن أبدا متحـاملا على

---

(١) يريد ابا على الفارسى ؛

(٢) اشار السهيلى الى هذا الوهم فى صدر كتابه النتائج ، وهو يعرب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد » فقال : ان حجة من حذف الواو هو ان الفعل بعد الواو دعاء بالصلاة والتسمية قبله خبر ، والدعاء لايعطف على الخبر . وأن حجة من اثبتها هو الاقتداء بالسلف . فأما السهيلى فقال : ان الواو لم تعطف دعاء على خبر ، وانما عطفت الجملة على كلام محكى ، كانك قلت : اقول هذا وهذا ، أو اكتب هذا وهذا . بتصرف .

(٣) الاشباه والنظائر ٣/١٤٤ — ١٤٥ .

صاحب الكتاب ، كما صَوَّره لنا معاصروه ومن خلفهم ، بل على العكس من ذلك تراه هنا يَنتصف له فيصحّح نصه ، ويأخذ على معارضيه أنهم لا يَصدُرون فى أقوالهم عن الأصول ومن هنا كثرت زلاتهم . ومن هذا النص تعلم أيضا أن ابن الطراوة تعرَّض لنقدِ الفارسى فى « المقدمات » ، وأن كتابه « الافصاح » ــ الذى نَذكُره بعد ــ لم يكن أولَ كتاب يحفِل بنقد الفارسى .

على أن كتابه « المقدِّمات » حفل أيضا وبصورة واضحة بنقـــدِ سيبويه ، فأثارت هذه الصورةُ معاصريه عليه ، وقد أشرنا من قبـــل الى رُدوده عليهم ، ودعوتِه إليهم أن يُفرِّقوا بين ما ينقله سيبويه ، وبين نظر سيبويه فى هذا المنقول ، فالاولُ : ليس مجالا للشك ولا للنقد ، واما الثانى وهو نظر سيبويه فى هذا المنقولِ فهو الذى يمكنُ أن يكون محلا للأخذ والمتابعةِ . وسوف نَعرِضُ مخالفاتِه لسيبويه ونحن نتحدثُ عن آرائه .

ويبدو أن كتابَ « المقدماتِ » كان أهمَّ كتب ابن الطراوة ، وأحفلها بآرائه فى النحو ، فهو فى « الإفصاح » يحيل عليه وحده ، ولا يذكر غيره إلا رسالةً صغيرة لم يسمِّها ، ومما يدل على عنايته به قوله عند الحديث عن دلالة المضارع واعرابه : « وعندنا ألا نرد من قوله « يعنى الفـــارسى » إلا ما تفرد به ، أو خالفَ سيبويه فيه ، ونَكِلُ غير ذلك الى « المقدمات » فمن تاقت نفسه إلى التشفى من هذا الفصل والوقوف على حقيقة إعراب الفعل ، التمسه من ذلك الكتاب ، أو باحثَنا عنه إن شاء الله » (١) . وقوله فى موطن آخر وهو ينقُد بعض أمثلةَ الفارسي : « والبرهان الجلى فى منع هذا ونحوه فى المقدِّمات » (٢) . الى غير ذلك من نصوص متناثرة فى « الإفصاح » تنقلُ إلى قارئها اعتزازَ صاحبها به ، وتجعلنا على أمل فى

---

(١) الافصاح ، ورقة ٦ .
(٢) الافصاح ، ورقة ٨ .

أن يجودَ الزمانُ بهذا الكتاب ، الذى أَعدَّه دليلا على الكتاب ، وكان أحفل كتبه بآرائه .

٢ ــ تَرشِيحُ المُقتدِى :

كذا ذكره صاحبُ إشارة التعيين (١) ، وهو مفقود كالأول ، ولم يُحِل عليه ابنُ الطراوة فى الإفصاح . وقد ذكره صاحب كشف الظنون فقال : « وهو مختصر المقدمات على كتابِ سيبويه » (٢) .

هذا ، وان من يقرأ الارتشاف لابى حيان يرى اسم « الترشيح » يتردد كثيرا ، وقد يظن أن هذا هو الكتاب الذى نحن بسبيله . وقد وقعنا فى هذا الظن فترة ، ثم تبين لنا أنه « التوشيح » (٣) ــ بالو و لا بالراء ــ وأن صاحبَه هو أبو بكر خطابُ بن يوسف بن هلال المارِدى (ت ــ ٤٥٠) وقد قدمنا ذكره ونحن نتحدّث عن الظواهر اللغوية فى عصر الطوائف .

٣ ــ رسالة فيما جرى بينه وبين أبى الحسن بن الباذَش فى مسألة نحوية ، ذكر ذلك ابن قاضى شهبة (٤) ، هذا وقد ذكر ابنُ الطــراوة فى الإفصاح أن له رسالة مشهورة ، قال : « وسوغ بعضهم استثناء الكثير من القليل ، واحتج بقوله تعالى : (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ، الا من اتبعك من الغاوين)وقد بينت فسادَ هذا القولِ فى رســالةٍ مشهورة

---

(١) الاشارة ، ورقة ٢١ .
(٢) كشف الظنون ١/٣٩٩ .
(٣) انظر الفهرسة لابن خير ٣١٩ ، وكشف الظنون ٥٠٧ . وقــد ذكر الكتاب فى ترجمته فى بغيه الوعاه ١/٥٥٣ بالراء ايضـــا لا بالواو ، وهو تحريف .
(٤) طبقات ابن قاضى شهبة ، الجزء الثانى ، ورقة ٢٩٨ .

بأيدى الناس » (١) فربما كان هذا الاستثناء هو موضوع هذه الرسالة الى جرت بينه وبين أبى الحسن بن الباذش •

٤ ــ مقالة فى الاسم والمسمى (٢) •

٥ ــ الإفصاح ببعض ما جاءَ من الخطأ فى الإيضاح •

كذا ورد الاسم على غلاف المخطوطة ، وهو الاثر الباقى من مؤلفات الاستاذ أبى الحسين ، وقد اعتمدنا عليه اعتمادا أوليا فى بيـــان آرائه والتعريف باتجاهه ، كما أفدنا منه من قبل فى بيان أسلوبه وبعض معالم شخصيته • ولم يذكره من المتقدمين غيرُ صاحب إشارة التعيين (٣) ، وقد حَفِظته مكتبةُ الاسكوريال ضمن ما حفظت من تراث الاندلسيين (٤) ، وأتيحت لى مصورة له (٥) ، أحيط فيها صلب النص من جميع هوامشه بردود على ابن الطراوة يُظن أنها تلك المنسوبة الى ابن الضائع ، ففى كشف الظنون : « وعلى الإيضاح اعتراضاتٌ لابن الطراوة النحوى ، والرد عليه لابن الضائع على بن محمد الكُتَامِىّ » (٦) • ويقول ابن الزبير فى ترجمة ابن الضائع : « أملى على ايضاح الفارسى ، ورد اعتراضات ابن الطراوة

---

(١) الافصاح ، ورقة ٢٢

(٢) بغية الوعاه ٦٠٢/١ •

(٣) اشارة التعيين ، ورقة ٢١ •

(٤) مكتبة الاسكوريال ، مخطوط رقم ١٨٣٠ •

(٥) أعدالآن هذا الكتاب للنشر ، وآمل أن يخرج قريبا ، وان كانت تبدو فى المصورة مشكلات كثيرة ، ترجع الى ما فى أصل المصورة من خروم ، والى ما فيه من سقط ، وارجو أن تتاح لى نسخة أخـرى ، أو أن استطيع تكملة هذه النصوص من الكتب التى اعتمدت عليها ، وبالله التوفيق •

(٦) كشف الظنون ٢١٣ •

على الفارسي واعتراضاته على سيبويه » (١) .

على أن من يقرأ أوائل الإفصاح قد يظن أنه ليس عمل الشيخ أبى الحُسَين ، وأن جماعة من تلاميذه هُم الذين نَهَضوا بجمع آرائه ورُدُوده على الفارسي وصاغوها فى هذا الكتاب ، ففى مُقدِّمة المخطوطة بعد البسملة والعنوان الذى قدمناه : « تأليف أصحاب من حَمَلة الكتــاب ، خصهم الأستاذ الأوحد ابنُ الطراوة بمكنون بحثه ، وآثرهم على الجملة من أعيان وقته » .. ثم بعد شكوى الزمان نجد النص التالى « وكان الذى حدا الى النظر فى هذا الكتاب « يعنى إيضاح الفارسى » تهافت فى تفضيله على غيره من المختصرات المروية ، وتظاهر المصحفين لتَقْـديمه (٢) على التواليف المسندة ، خُروجًا من شرط النقل عن أهل الثقة ، والإسنادِ الى الائمة ، حتى درست آثار المتقدمين، وامَّحت سبيلُ المؤلفين ، فطمَسوا أعينَ الناظرين ، وضربُوا على آذان السامِعين ، وخلصُوا الى قلوب الناشئين ونحن الآن بادئون بما عزمنا من ذلك عليه ، واتَّدبنا حسبةً إليه .. » .

من يقرأُ هذه المقدمة قد يظن أن هؤلاء التلاميذ قــد جَمَعوا آراء الشيخ ، وأن الشيخ لم يَقصِد جمعها فى رسالة ، وإنما هى نَقَدات قالها فى مجالسه ، وأنهم اجتمعوا فصاغوها ، ورتبوها على أبواب الإيضاح . وعلى هذا فإنه كان من التلاميذ الجمعُ والصياغة والترتيب ، ولايستطيع الناظر فى هذه المقدمة أن يدَّعىَ شيئا فوق هذا ، بأن يُسنِدَ هذا النقــد إليهم ؛ حيث إنه ذكر فى صدر هذا التقديم : « تأليفُ أصحابٍ من حملة الكتاب ، خصهم الاستاذ الاوحدُ ابنُ الطراوةِ بمكنونِ بحثه ، وآثرهم على الجملة من أعيان وقته » ؛ فما فى هذا الكتاب مما آثرهُم به الشيخ وأكنَّهم إياه .

---

(١) بغية الوعاه ٢/٢٠٤ .

(٢) فى المصورة : « لتقدمه » .

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

رسالة الإفصاح
ببعض ما جاء من الخطأ في كتاب الإيضاح

قال بعد ... أما بعد ... فإنه ... لما وقفنا ... على ... بكونهم ... وأنهم على الجملة من أعيان ... إذ لم يكن بهم ... وما ... عنه وما ... منه وأنتم كلف الزمان ... حتى ... بالقلوب ... من أبين العلوم للعامة ... ثم ضرا ... ذكر

وفرقة ... ابن ...

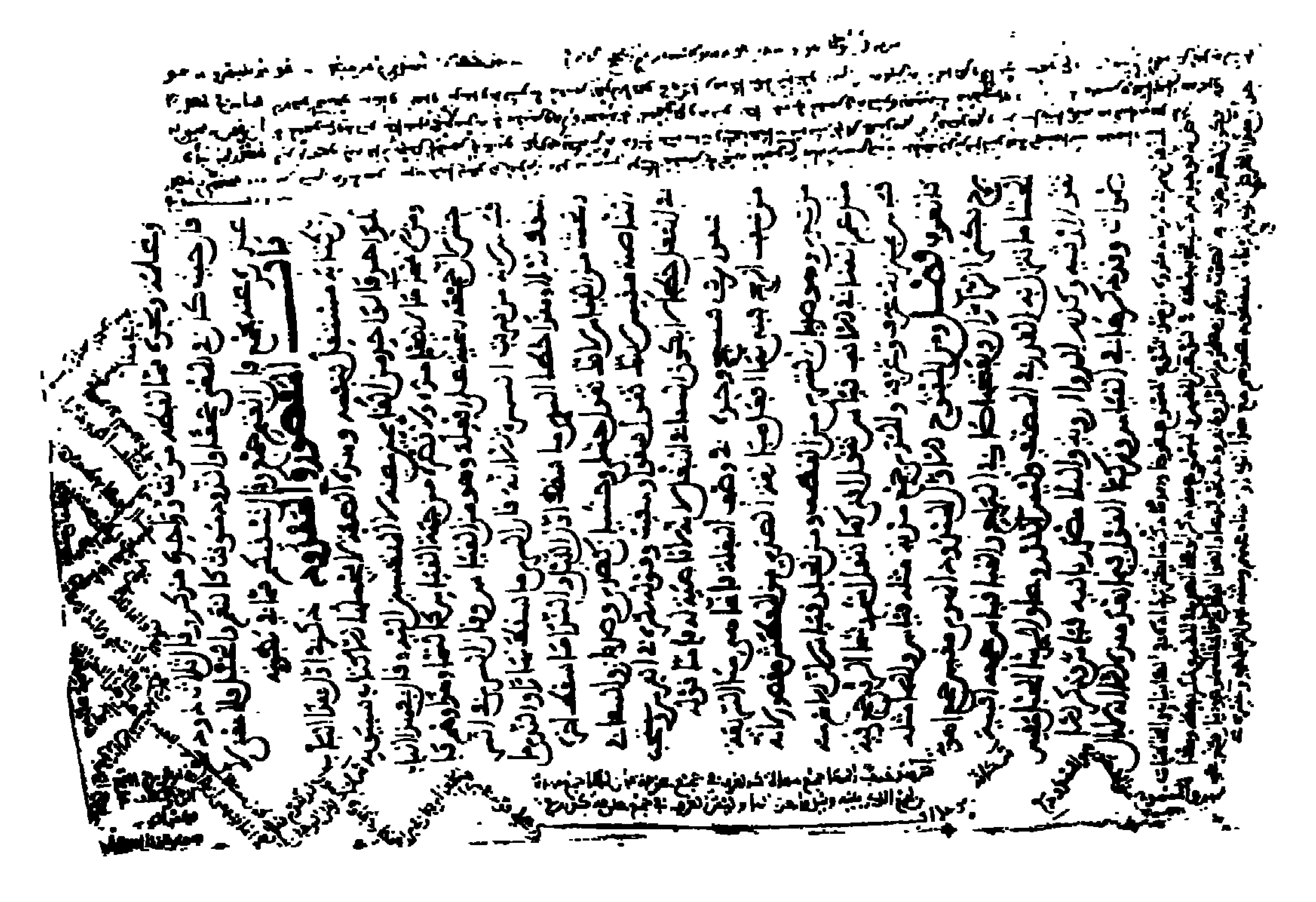
وكان ... من الكتاب ... بفضله على ... من ... الكلام ... على ...

... حتى ... سبيل ... فكمسوا ... صبروا على أذن السامعين وخضعوا الى ... ولا ... مضنا ... بما

... ومما ... وأنه ... أدبار ... بما ... عليه ... أرشدنا الله تعالى

قال الإمام أبو الحسين ... ابن الطراوة ... رحمه الله الكلم اسم وفعل وحرف وقال ... في كتاب الإيضاح الكلم ما تألف من ثلاثة أشياء اسم وفعل وحرف ... سيبويه ... الثلاثة ... ملتبسة من ثلاثة وهذا ... مفعول مفعول ... الثلاثة مفعول

والمفعول ... الشيء ... فيه الكلم ... والفعل والحرف ثم ... الاسم والفعل والحرف ... الكلم ... مفعول ... الأشياء ... الاسم والفعل والحرف ... الكلم ... بلا يكون ... الواحد ... الكلم ... من الثلاثة ... مفعول ... من الثلاثة على نظام نحو قولك قام زيد كان كلاما ... قام زيد كان كلاما ... سيبويه رحمه الله قال ... في الكتاب أما ... الكلام ... من ثلاثة ... من الكلام ما ... زيد ... الكلام ... زيد ... عمرو ... زيد ... الكلام ... سيبويه رحمه الله ... زيد ... من ... سيبويه رحمه الله ... من ...



ولكن الذى تَبيّن لى هو أن كل ما فى الكتاب من لفظ الشيخ ، ذلك أنه ما يكادُ المرء يغادرُ هذه المقدمةَ ، حيث يجد نفسه أمام شخصية واحدة تتحدث إليه ، ويجد أمامه من الادلّة على أن الإفصاح من لفظِ الشيخ ، ونسوق بعضها فيما يلى :

وَرَدَ هذا النص أولا : « ولعل من ينظر فى هذه الرسالة يظنّ علينا أن بعضَ ما قدمناه من الجمل مُعاد ، بل ما بينها جملة إلا مخالفة غيرها فى معناها ، كما خالفتها فى رصفها ، وهذا مبينٌ فى (المقدماتِ إلى علمِ الكتاب ، وشرح المشكلاتِ على توالى الأبواب) ان شاء الله ، وكذا يتقدم بالعذر إلىّ بعض من يحرر الألفاظ ... » (١) .

ويهمنا الجملةُ الأخيرة من هذه الفِقرة ، فقد تحدث عن نفسه بضمير المتكلم . ومن النصوص أيضا : « ولعل بعضَ من يسمع كلامى يقول — وما قَدَّر هذا النظر — ... لقد عَظَّمتَ حقيرا وحَجَّرتَ واسعا .. » (٢) . وهو مثلُ الأول ، القائل يذكر نفسه بضمير المفرد ، ويعيد الخطاب عليها بضمير المفرد كذلك .

وانظر أيضا الى النص التالى : « وقد أوضحنا الصوابَ فى ذلك ، فى « المقدمات » بما لا مَحِيدَ لأُحد عنه » (٣) ، والذى أوضح فى المقدمات هو مؤلّفها أبو الحُسَين لاغيره .

ومثل النصوص المتقدمة هذا النص أيضا : « وقد أشرتُ فيما مضى من هذه الرسالةِ »(٤) وهكذا لاتزال تمضى فى متابعة هذه الرسالة حتى

---

(١) الافصاح ، ورقة ٣ .
(٢) المرجع المتقدم ، ورقة ٩ .
(٣) المرجع المتقدم ، ورقة ١١ .
(٤) المرجع المتقدم ، ورقة ١٦ .

تقابلك أمثالُ هذه النصوص ، التى لاتملك معها الا أن تُحِيلَها عليها الشيخ أسلوبا كما أحلتَها عليه فكرا ، وقد تتساءلُ عن أمر هذه المقدمة ، وما ورد فيها من القولِ بأنه « تأليفُ أصحابٍ من حَمَلة الكتاب » ، والخطب فى ذلك سهل ، وهو أن هذه الرسالة أملاها الشيخ فى آخر حياته على خاصة تلاميذه ، أولئك الذين كانوا يَحمِلون آراءه ، ويدافعون عـن مـذهب شيخهم ، أمام ابن الباذَش وتلاميذِه ، ثم أعجَله الموتُ عن النظرِ فى هذه الرسالة ليكتبَ لها تَقديما ، فلما مَضَى الشيخُ أبرزُوها للناس ، وقالوا فى مُقدِّمتها مقالتهم ؛ وكم من الكتبِ أعجلَ الموتُ أصحابَها عن التقديم لها ، وبحسبك كتابُ سيبويه مثلًا •

وقد تتساءل ثانيا عن هؤلاء التلاميذ الذين اختصَّهم الشيخُ بهذه الرسالة ، ولو رجعتَ الى ما قدمناه عن تلاميذِه فربما استطعتَ أن تتبينَ من بينهم : أبا محمد القاسم بن دُحمان ، وأبا بكر بن سَمحون ، وأبا شَبوة بن يَعسُوب ، الذى ذكروا له كلاما مع أبى الحسن بن الباذَش فى مسـألة نحوية نقضها عليه •

موقفه من الايضاح :

حديثنا عن موقفه من الإِيضاح ، يتناولُ رأيه فيه من حيث مستواه وصلاحيته للتلاميذ الذين أعد لهم كما يتناولُ مَوقِفه من الآراء المعروضة فيه ، والنواحى التى عُنِى ابن الطراوة بنقدها فيه ؛ والحجج التى اعتمد عليها فى النقد •

١ ــ فأما عن مستوى الكتاب ، فالإيضاح كما هو معلوم أُعِدَّ للشادين فى النحو ، وقد صرح ابن الطراوة بأنه خلا من الترتيب والإحكام الذى يناسب المبتدئين ، ووازن بينه وبين كتاب سيبويه فى بعض المواضع ، ففضل الكتابَ عليه ، وقال : إنه ــ أى الإيضـاح ــ مبنى على تَعجِيز

الناظر فيه ، لا تعليم المستندِ إليه ، بما وقع فيه من تقديم ماينبُو ذهن المبتدى عنه ، وتأخير ما لابد منه ، وتشعُّب كل باب فيه بما شذ منه ، بما نظمه سيبويه على أبواب ، ونَزّله على نظام ، بعد فراغه من إثبات قواعده وتقريب مسائله وشواهده » (١) . وقال فى موطن آخر : « وهذه إشارة يسيرة فيما تنطوى عليه هذه الابوابُ من وجوه النظر وتزاحُم المعانى عليها ، وإنما لَوَّحتُ لك بهذا ليكونَ منك بتفقد وكيدٍ ، واعتناء شديد ؛ فإن هذا الرجل لفَّ القول فيها على غيره ، ولم يفرِّق بين حُلْوه وَمُرّهِ ، وما اختصرَه سيبويه فى صفحات كثيرةٍ بسطَه فى كلماتٍ يسيرة ، فصارَ الناظرُ فيه بين فَوْتِ الراحةِ وعَدَمِ المعرفة . وكلام سيبويه أسهلُ للفكِّ ، وأجلى للشــكِّ ، وأقربُ للمتأوِّل .. » (٢) . وهكذا فى غير موضع يقابلك رأيُه فى تبويب الإيضاح ، وطريقة معالجة للمادة فى كل باب .

ومن هنا كان يُفضِّل جمل الزجاجى عليه ، ويراه كثير النفع للمبتدئين ، خاليا من الفضول ، قد أُحسِن ترتيبُ أبوابه وفصوله . يقول ابن الطراوة فى باب كم : « شَغل فى هذا الباب بخلط الألفاظ بالاعراب ، وتقديم ماعهدنا تأخيره ، وترك مايتعين تفسيرُه ، مع كثرةِ الخطأ وقلّة الصــوابِ ، فمن اقتصَرَ عليه خرجَ منه كما دخل فيه ، فكتابُ الجُمل فى هذا وغيرِه أنفعُ .. وبالله التوفيق » (٣) . ويقول فى باب القسم : « من الحقِّ على من تَبِلمَ حسّه ، ونَصَح نفسَه ، أن يطالع هذا الباب فى كتاب الجمل ، ليفصِل بين ما تقيَّد منه وبين ما عَبَّر هذا الرجلُ عنه ، فإن فعل ذلك وأنصفَ ، وقفَ من ترتيبه له ، ووضْعِ فصولِه ، وإجراء فروعه على أصوله ، وإتقان عوامله وأَجرِيَته ، وغير ذلك من أحواله ، على ما يتبين فضــلُه ، ولا يســعُ

---

(١) الافصاح ، ورقة ١٠ .

(٢) الافصاح ، ورقة ١٢ .

(٣) المرجع المتقدم ، ورقة ٢٣ .

جهلُه » (١) .

هذا حكمه العام على الكتاب ، ولكنه شَذَّ عنه مرة أو مرتين ، فأثنى على المؤلف في فصل من فصول المقصور والممدود ، فقال : « ثم فَـرَّعَ القول في التأنيث والتذكير ، فنظَر وأمعَنَ ، وأكثر وأحْسَنَ ، وذهب فيـه كل مذهب ، وبلغ منه الى أبعدِ مطلب ، بين تصنيفٍ محكم ، وتأليف متراصف مُتقَن ، مستظهرا بالشاهد من كلام العرب ، مُرسِلا ماشدا من عِنان الأدب ، إلا نُبَذا يسيرة من باب السهوِ والنسيانِ ، مغتفرةً في جنب الإصابة والاحسان ، تُمَدّ في الكتاب على توالى الابواب ، غير مخلة بماله في ذلك من الصواب ، والحقُّ أحق أن يُتَّبع » (٢) .

وهو قول — كما ترى — قد يشهد لقائله بالنَّصَفَة ، وأنه كان في كل ما تعرض به للإيضاح يلتزم جادّة الحق ، بعيدا عن التحامل والعصبية .

٢ — وأما عن موقفه من الآراء المعروضة في الايضاح ، فقد نبه ابن الطراوة في غير موضع من الإفصاح على أنه لا يعرض لنقد ما ذكره الفارسى إلا ماكان فيه مستقلا برأى ، فأما ما شارك فيه غيره من المتقدمين ، فهـو بمَنجاة من النقد حيث كان فيه متبعا . فالذى يُهمُّه من الإيضاح هو مـا امتاز به الفارسى ، سواء أكان رأيا أم توجيها أم مثالا ، فهذا هو محل النقد والمتابعة ، يقول ابن الطراوة : « وَإنما قَصَدنا إلى الأفصاح ببعض ما وقع في هذا الكتاب من الخطأ والتقصير ، مما تفرد « به » أو خرج عن نص سيبويه ، فأما ما سِوى ذلك مما قالَ فيه مع غيره ، فأكثرُ من أن أُحصيه ، وأبعد مشقة من أن أستوفيه » (٣) .

---

(١) المرجع نفسه ، ورقة ٢٥ .
(٢) الافصاح ، ورقة ٣٣ .
(٣) الافصاح ، ورقة ٤ .

ويقول فى موطن آخر : « وعندنا ألا نَرُدَّ من قوله إلا ما تفرد به ، أو خالف سيبويه ، ونَكِل غير ذلك الى المقدمات .. » (١) .

وقال وهو ينقد ما ذكره الفارسى فى ظروف الزمـــان : « ونحن تتجافى عنه فى قوله : (ربما كان العملُ فيها كلِّها ، وربما كان فى بعضها) ، لأن غيره قد يشاركه فى هذا الظن ، فليس قصدُنا بسـطَ القـولِ فى كل ما يتعلّق به نظر ، ويعترض عليه قياس أوسماع ، فقد وَكَلْنـــا ذلك الى « المقدمات » ، ان شاء الله » (٢) .

٣ ــ فَأَمّا النواحى التى شغلتِ ابنَ الطراوة من إيضـــاح الفارسى وأخذها عليه ، فهى بين العبارة والمثال والحكم والإعراب ، وقد يتناول أحيانا استخدامه لبض المصطلحات ، أو ما تعرض له لبيان دلالة لغـوية أو نحوية ، كما قد يأخذ عليه بعض التعريفات . وسوف نقدّم نماذج لأهم هذه النواحى ، بادِئينَ بقولِ المؤلفِ كما فى الإفصاح ، ثم نُعقِّب بقـول ابن الطراوة :

(ا) نقد عبارات الفارسى :

قال المؤلف : « الاسم فى باب الإسناد إليه ، والحـديث عنه أعم من الفعل » .

يقول ابن الطراوة : « ففاضل بين الاسم والفعل فى الإخبار عن كل واحد منهما ، والفعل لا يُخبَر عنه ولا يُسنَدُ إليه البتةَ ، وإنما يفاضـل بين الشيئين إذا اجتمعا فى وصف ، وكان أحدُهما أفضلَ من الآخر فى ذلك

---

(١) المرجع المتقدم ، ورقة ٦ .
(٢) المرجع نفسه ، ورقة ٧ .

الوصف ، وهما جميعا يُحَلَّانه ، نحو قولك : زيد أطول من عمرو ، فكلاهما طويل ، ولزيد على عمرو فضل فى الطول .

وقوله : أعمّ من الفعل ، ليس للعموم والخصوص هنا متعلّق يليق بالمخبر عنه ولا المخبر به . ولو كان هذا الكلامُ صحيحا ، فوضع مكان أعم : أمكن ، أو أعرف ، كان صوابا » (١) .

وفى باب التمييز نسب المؤلف إلى الفارسى أنه قال فى الإيضاح : « جملة التمييز أن يحتمل الشيءُ وجوها ، فَتُبيِّنَه بأحدها » .

يقول ابن الطراوة : « هكذا اشتُرِط فى الحال سواء ، فلم يقع فرق .. وأخبر عن الجملة بأن يحتمل ، وهذا خَلَفٌ ، كأنه قال : جماعة القوم أن يقوموا وجُملة البُرِّ أن يُكال .

وقال : الشيء ، وذلك الشيء يكون فعلا ، فيكون البيان لباب الحال ، ويكون اسما فيكونُ لباب التمييز .. » (٢) .

(ب) نقد امثلته :

يقول ابن الطراوة : « قال المؤلف فى باب ما إذا ائتلف من هذه الكلم الثلاث كان كلاما مستقلا . وذكر : زيد أخوك ، وقرن به : زيد فى الدار . ولابد فى هذا من اعتقاد فعل فيضاف الى الدار ، فهذا أكثر من « زيد أخوك » . ولو كان مكان « أخوك » : أبو فلان كناية لا بنوة ، كان أضبط لما قَصَد إليه من ائتلاف الجملة من اسمين » (٣) .

---

(١) الافصاح ، ورقة ٣ .
(٢) الافصاح ، ورقة ٢١ .
(٣) المرجع المتقدم ، ورقة ٤ .

والمثال المتقدم ـ كما ترى ـ صحيح عربية ، ولكن ابن الطـــراوة يأخذ عليه انه ائتلف من اكثر من اسمين ، وقد مثل به الفارسى لما يأتلف من اثنين فحسب . على ان هنالك أمثلة أخرى تمثل بهـــا الفارسى ويراها ابن الطراوة مخالفة لسَمْتِ العربية ، وقد حَمَل عليها حملةً عنيفةً ، ومـــن هذه الأمثلة : زيدٌالخُبزَ آكله ، يقول ابن الطراوة : « فلو اجتمعتِ الجنُّ والإنسُ ، وكان بعضُهم لبعضٍ ظهيرا ، ما فَهِموا هذا الكَلامَ ، ولعـــل مظاهرا علينا جامعًا فى الباطلِ على امضبائِه ، يزعُم أن ماألفيناه منصوبًا فى النُّسَخ مرفوع ، يرى أن ذلك يُشلِيه من الوَرْطة ، ويُنفِّس عنه ماحاق به من الضَّغطة ، فلعمرُ الله لَهُوَ فى تلك الحالِ من الخطأ أسوأُ مصرعا ، ومن الصواب أبعدُ مَنْزَعا لما سَوّغه من حذف العائد ، وتكلفه مـــن الترتيب الفـــاسد (١) »

ومما هو على نظير المثال المتقدم ما ذكره الفارسى فى باب الابتـــداء بالأسماءِ الموصولة ، فقد مثل بنحو : كلُّ رجل يأتينى فله درهم ، وكـــل رجل فى الدار فَمُكرَم ومحمود . يقول ابن الطراوة : « والفاءُ لا تجوزُ فى « مُكرم » البتةَ ، لأن « فى الدار » أمر ثابتٌ واستقرار حاضر ، وإنماتدخل الفاء مع توجه الامكان ووقوع ما بعدها لكون ما قبلها لأنه مشترط فيه فإن وُجِد الأول وُجِدَ الثانى لوجوده ، وَإِن عُدِم عُدِم ، وهذا لا يكـــون إلا مع التصريحِ بلفظِ الفعل ، مثلُ قوله : الذى يأتينى فَلَه دِرْهَمٌ » (٢) .

ومن الأمثلة المشهورة فى النحو ، والتى يُمثّل بها لما تَخْتَصّ به الفاءُ دُونَ حروف العطف نحو : الذى يطير الذبابُ فيغضبُ زيد ، يقول النحاة : إن الفاء تَعطِف ما لا يَصِحُّ أن يكون خبرا على ما يَصِـــحُّ والعـــكس ،

---

(١) الافصاح ، ورقة ٨ .
(٢) المرجع المتقدم والورقة نفسها .

ويقولون : إن مثلَ الخبر : الحالُ والنعتُ والصِّلةُ ، ويمثلون للصــلة بالمثال المتقدم ، ويبدو أن الفارسي أولَ من مَثّل به ، وقد تعقب ابنُ الطراوة هذا المثالَ فقال : « وقال في باب الإخبار : الذي يطير الذبابُ فيغضبُ زيدٌ ، فحمل المسائل عليه ، وجَلبَ الفوائد اليه ، ووضْعُ هذه المسألة واهٍ ، وبناؤها متداعٍ ، والأحرى بها والأوجب فيها أن تكونَ الفاءُ رابطةً تربط المعلولَ بالعلةِ ، أو المسبَّب بالسببِ ، نحو قولك : سرت حتى أدخلَ المدينة ، ومَرِض حتى لا يرجُونه ــ وهذا المعنى سخيف ، لأنه جعل طيران الذباب بطبعه علة أو سببا لغضب زيد في نفسه ، ولو قال : ينزل الذباب على زيد أو نحوَه مما يكون سببا لغضبه ، جاز . فإن جعلَ الفاءَ العاطفة حمــل جملة على جملة ، وليست معها المقام واحد ، نحو : يقوم زيد من نــومه فيستوِي الزرعُ على ســوقه ، وما أشبهَ هذا مــن بَرْدِ الكلام وسُخْفِ الخطاب (١) » .

وقد خَتَم ابنُ الطراوةِ نقدَه لهذا الباب ــ باب الاخبار ــ بقــوله : « ومع أن سيبويه لم يذهب من هذا الباب الذي سموه الاخبار ، الا فيما تكلمَتْ به العَرب ، وأتى في الإشعار والخُطَب ، ولم يَعْدُ فيه الى تقديم اسمين ، نحو : زيدٌ عمرو الضاربه ، ونحوه ، مما تمجه الآذان ، ولا تقبله الأذهان (٢) » .

هذا قليل من كثير تتبع فيه ابنُ الطراوة أمثلةَ الفارسي ، مُنبِّها عــلى أنها لا تَمُتّ إلى العربية بِسَبب ــ وهذا أثر من آثار منهج الأندلسيين في دراستهم اللغوية والادبية ، تلك التي كانت تَنبُع من النص وتدور حوله ولا تُطلِق العنان للاقيسة ، على نحو ما شُغِلَ به المشارقة ، فرأى ابن الطراوة

---

(١) المرجع المتقدم ، ورقة ٨ .
(٢) المرجع نفسه ، ورقة ٩ .

أن الايضاح قد حَفَل بأمثلة يَنبُو عنها ذوقُ العربى ، ولا تَجِدُها مستعملة فى كـلام العرب .

(جـ) استخدامه للمصطلحات :

وقد أُخذ عليه ابنُ الطراوةِ أنه يَضَع المصطلحـاتِ فى غـير موضعها ومن ذلك ماقاله الفارسىّ فى أولِ الإيضاح من أن « الكلم يأتلِفُ من ثلاثة أشياء اسم وفعل وحرف (١) » . وقد وازن بين عبارته وبين عبارة سيبويه وهى أن : « الكَلِم اسم وفعل وحرف » ، وقال : « فمازعَمه سيبويه منقسما إلى ثلاثة ، زعمه المؤلف ملتئما من ثلاثة ، وهذا نقضُ الأول ضرورةً » . ثم ذكر أن الذى يأتلف من هذه الثلاثةِ إنما هو الكلام لا الكلم .

ومن ذلك أيضا ماقاله الفارسى فى باب التعجب من أن الاسم بعدأَفعلَ منصوب لأنه مفعول به (٢) ، ويقول ابن الطراوة : « وانما هو منصوب لا مفعول به ، وهذا المنصوبُ يأتى على اربعة اوجه : مفعول به ،ومضاف اليه ، ومنقولٌ عنه ، ومسئول منه »

ولم يمثل ابن الطراوة لواحد من هذه الاربعة ، ويبدو أنه يجعل الاسم المنصوب بعد افعل من الوجه الثالث ، وهو المنقول عنه ، ذلك أنه منقول عن مرفوع ، فأصل ما احسن زيدا : حَسُن زيدٌ ، فَنُقِلَ عن الرفـع الى النصب . ويؤيّدُ ما قلناه ما ذكَره ابن الطراوة فى باب ما يتعدى إلى ثلاثة مفعولين حين قال الفارسى : « صـار الفـاعلُ مفعولًا أولَ » فقـال ابنُ الطراوةِ : « فما أَقبَحَ قولَه صارَ الفاعل مفعولا ، والصواب : صـار المرفوعُ منصوبا ، وصار المسندُ إليه منقولا عنه » (٣) .

---

(١) الافصاح ورقة ٢ .
(٢) المرجع المتقدم ، ورقة ١٠ .
(٣) المرجع المتقدم ، ورقة ١٦ .

د ـ نقدُ أقواله فى الدلالة :

وأعنى بالدلالة هنا دلالةَ الأَدوات التى يُؤتَى بها لمعان نحوية ، وقد أَخذ على الفارسى قولَه فى باب العطف إن الفاء الواقعة فى جواب الشرط هى التى تكون للعطف ، ويقول ابن الطراوة : « وليس كذلك لأَن الجواب لا يُعطَف ، وانما يُحمَل على ما قبله ، ولو ترك المعطوف استغنى الأَول عنه ، والفاءُ هنا غير تلك ، لأَن الجواب لابد منه » (١) .

وقال الفارسى فى باب الحروف الجازمة ان « لما » التى تجيء مع الماضى هى الجازمة . ومعنى هذا انه يجعلها فى الدلالة سواء ، ولذلك قال ابن الطراوة : « وهذا خطأفاحش ، وَإِنما هىالتى تجيء فىمقابلةلو(٢)» يريد أن يقولَ : إن لو للامتناع فى الماضي ، ولما للوجود فيه ، واستشهد على دلالتها بقول سيبويه : « وأما لما فهى للأَمرِ الذى وقع لوقوع غيره »

هذا مثل من مآخذه على الفارسى ، بقى نقدُه لآرائه التى انفرد بها وأعاريبه ، وموضعها الفصل الذى نعقده لبيان آراء ابن الطراوة ، ففيه نقابل بين آراء هذين الشيخين وأعاريبهما .

ولقد كنا وعدنا من قبل أَن ننبه على الحُجَج التى اعتمد عليهما فى التعريف بما وقع فيه الفارسى منالخطأ ، ولعله بدا منعرضنا للنصوص المتقدمة أنه كان يُحيل على أساليب العرب ، وعلى ماقاله سيبويه ، وهناك مواضع أخرى ، كانيحتكم فيها الى ماقاله المبرد أو ابنُ كيسان ، أو أبو عُبَيد القاسمُ بن سلام .

---

(١) المرجع المتقدم ، ورقة ٢٦ .

(٢) الافصاح ، ورقة ٢٧ ــ ٢٨ .

اسم الافصاح :

بَقِيَتْ كلمة أخيرة حول اسم هذه الرسالة ، شبيهةً بما قلناه من قبل عن كتابه ترشيح المقتدى ؛ ذلك أن من يقرأ « ارتشاف الضرب » لابى حيان يرى أن اسم « الإفصاح » يتردَّد كثيرا ، وقد يظن أن النصوص التى يسوقها أبو حيان من الرسالة التى عرفنا بها لابن الطراوة • والواقع غير ذلك ، ويغلب على الظن أنها من كتاب « الافصاح بفوائد الايضاح » لابن هشام الخضراوى ؛ على ان لكل من أبى البقاء العكبرى ، ونصر بن عبد الله الشيرازى كتابا بهذا العنوان يدور حول الإيضاح (١) •

تلك كتبُ أبى الحسين ، ومن التعريف بها تَعلمُ أن الرجل لم يؤلف كتابا دراسيا يُعنَى بعرض أبواب النحو بابا بابا ، وانما هى بُحُوثٌ تعبر عن فكره وثقافته وتجربته مع العربية وأدبها ، ولعلك لمست من عَرْضِ كتابه « الإفصاح » أن وقوفنا على كتبه الاخرى ــ وخاصة المقدمات ــ سوف يزيد شخصيَّته العلمية وضوحا ، كما لمست من هذه النصوص أيضا أن الرجلَ كان جديرا بما حَظِى به من مكانة ، وأنه قد تهيأ له من الأسباب ما جعله إمام عصره ، وأحدَ الأعلام البارزين فى تاريخ العربية •

---

(١) انظر كشف الظنون ٢١٢ ، وانباه الرواه ٢/١١٧ ، ٣/٣٤٥

— ٥ —

آراؤه فى النحـو

مَعالِمُ عامّة لنحوه :

لابن الطراوة تعريفٌ فريد للنحو يُعبّر أتمّ تعبير عن طبيعة الدراسة النحوية فى الاندلس ، وقد ردّ به على الفارسى عندما عرف النحو بقوله : « النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب » ؛ فقال ابن الطراوة : « والصواب : النحو تَسديدُ الذهن للتمييز بين الاستقامة فى الكلام والإحالة » : وكأنه يُنبّه الدارسين الى أن مهمة الناحى ليست وقفا على العلم بالقوانين ، وإنما هى فى نظرةٍ أعمقُ وأبعد حين تمتدّ الى مدارسة النصوص بحثا عن منهج اللغة وطرائقها فى التعبير ، ومن خلال هـذه المدارسة يتكونُ لدى الدارس الحسّ اللغوى الذى يقفه على ما يكون به الكلام مستقيما وصوابا ، ويكون بدونه مستحيلا وخطأ . ومن هنا كان فى كثير من ردوده على الفارسى يذكر أن ما قاله ليس عليه دليل من شعر أو قرآن ، فتراه فى باب إعراب الاسماء يقول : « جميع ما يأتى بعد هذا الباب الى باب الفاعل مُفتقِر إلى الإصلاح ، خارج عن سَنَن الصواب ، فمنه ما لا يعمد فى اللسان ، ومنه ما يخالف نصَّ القرآن » (١) . وفى باب اسم الفـاعل يقول : إن ما يمثلون به من نحو « ضاربُ زيد أمس » محال « ولا تجده مستعملا فى الكلام ، ولا مألوفا بين العوام ، وانما هو لفظٌ تعاوره أهل النظر فى النحو بينهم ، فارتاضت به ألسنتُهم ، وانقادت له طباعهم ، من غير سماع من العرب .. » (٢) . وكأنه بهذه الأقوال يُحذّر النحاةَ من العكوف على كتب النحو ، وصَرْفِ الهِمَم اليها وحدها ، فمن يكون هذا

---

(١) الافصاح ، ورقة ٢١

(٢) المرجع المتقدم ، ورقة ١٣

نهجه فسوف يزدادُ بُعدًا عن العربية بمقدار بعدِه عنها نَصًّا وأسلوبا . ولقد رأيتَ الرجل يحتكم إلى كلام العامة ، وذلك شيء غير مستغرب من أمثاله من أئمة النحو الذين كانوا يعيشون اللغةَ واقعا منطوقا ، ولغة حيةً يتفاهم بها الناس ، ومن كان هذا شأنه يعرف أن الناس لا يتفاهمُون بلغة منطقية كما قد يتصوَّر دارسُ النحو ، وأن هذا الذى يجده فى كتب النحو انما هو قواعد للغة التنزيل الحكيم ، وللغة شعر عكف أصحـابه على صنعته وتجويده ، كما يدرك قيمة الإشارة والنبرة والنغمة فى التعبير عن المعانى المختلفة ، ولعله أفاد من ذلك فى بعض أحكامه وتوجيهاته ، فقد وَجَّه قول الزباء : « عسى الغويرُ أبؤسا » توجيها لم يُسبَق اليه وكانه استوحاه من كلام العامة ، فقال : « قالت : عسى الغوير أبؤسا فى أمر ما تَحْزرُه ، ثم ثبت عندها ذلك المتوقع ، فأعلمَتْ فى بَقيَّةِ كلامها : صار ، فكأنها قالت : صار الغوير أبؤسا . وهذا التحول فى المقام الواحد من حال الى حال ، فى كلام العرب واستعمال العامة — أكثر من أن يُحصَى وأعم وأشهر من أن يُشهَر أو يُنمَى » (١) . ويعنى بأمثلة التحول فى المقام الواحد نحو مـا تفيده « أم » من الإضراب ، فقـد يَمضِى كلامُك على اليقين ثم يدركك الشك ، مثل قولهم : إنها لإبل أم شاء ؟ فترى القـائل يضرب عن اليقين ويرجع إلي الاستفهام حين يُدرِكه الشكّ (٢) وقد أدركَ أنَّ مَثَلَ الزباء يمكن حملُه على هذا الكلام ، ويمكن الوقوفُ على نظـائرَ له فى كلام الناس .

ولقد سَجَّل السهيلي حوارا دار بينه وبين شيخه حول مقالة القُتَبىّ فى الردّ على المعتزلة الذين كانوا يرون أن تكليم الله لموسى — عليه السلام — مجاز ، وكان القُتَبىّ يستشهدُ فى الردّ عليهم بقوله تعـالي : (وكلَّمَ الله

---

(١) المرجع المتقدم ، ورقة ١٠ .

(٢) انظر نتائج الفكر للسهيلى ، ورقة ٢٢٣ ، فقد أفاد من كلام شيخه ابن الطراوة .

موسى تكليما) ، حيث أُكِّدَ الفعلُ بالمصدر ، ولا يصح المجاز مع التوكيد يقول السهيلي : « فذاكرتُ بقولِهِ هذا شيخَنا أبا الحُسَين ـــ رحمه الله تعالى ـــ فقال : هذا حَسَن ، لولا أنّ سيبويه قد أجاز في مثل هذا أن يكون مَفعُولا مُطلَقًا (١) ، وان لم يكن منعوتا في اللفظ ، فيحتمل على هذا أن يريد : تكليما ما ، فلا يكون في الآية حجة قاطعة » (٢) . ومن هذا النص ترى أن الرجل كان مدركا لأهمِّية الأداءِ في تحميل اللفظ معاني لاتلمسها منه لو كان الكلامُ مكتوبا ، وأن المصدَر المذكورَ في الآيةِ يحتملُ أن يفيدَ التوكيدَ كما يحتملُ أن يكون المقصود منه بيان النوع ، ولقد ارتضى كلام سيبويه لأنه يدرك قيمةَ الاثر الذي يُضْفِيه أداء المتكلم وهيئته على المعنى .

هذا جانب ينبغي التنبيهُ عليه من الجوانب التي كونت شخصيته ، وكان له بها وزنٌ في عصره وبين تلاميذِه ، وهو أن الرجلَ كونته ممارستُه الدؤوب واصغاؤُه الدائم للأساليب العربية وأحاديثِ الناس في الحياة .

وهناك جانب آخر على قدر كبير من الاهمية ، وهو أن الرجل كان يميل الى تحديد المصطلحات وبيان دلالاتها ، وكان صـــاحب تقسيمات جديدة لم يُسبَق اليها ، وكان كذلك معنياً ببيان الفروق بين ما قد يعد متشابها .

استمع اليه وهو يُحَـــدِّدُ هـــذه المصطلحاتِ : النطق ، والقول ، والإخبار : « النطق : إفصاحُ العاقل بما يقوم في ذهنه من المعاني لفظا أو إشارة ، وبهذا يسمى ناطقا ، ويليه القول ، وهو : افصاح اللافظ بما يقوم في ذهنه من معنى أو حكاية ، ثم يليه الإخبار ، وهو : إفصاح القائل بما

---

(١) يريد ابن الطراوة بالمفعول المطلق المصدر المحدود أو المنعوت ، فاذا خلا المصدر من هذا فهو المؤكد .
(٢) انظر النتائج ، ورقة ٣٠٢ .

يقومُ في ذهنه من المعاني خِطَابًا أو مناجاة وبالاول يسمى مكلّما ، وبالثاني يسمى متكلّما ؛ لان الكلام باضافته الى المخاطب عبارة تُحِلّ المخبَرَ مَحَل المخبِر فيما يقوم في ذهنه من المعاني ، وفي اضافته الى اللافظ صوت تَنَوَّعه ألفاظٌ موضوعَة باتفاق الدلالة على جميع المعقولاتِ حسا أو تَخَيُّلا..»(١).

وانظر إلى تقسيمه للفعل من حيث النقل ، وكان الفارسى قد حكى قولَ المازنى : « لايجوزُ أن يُنقلَ من هذه الافعال غـير ما استعمل » ، فقال ابن الطراوة : « يعنى أن النقل إنما يكون فى الشيء سماعـــا من العرب . وقد أشرتُ فيما مضى من هذه الرسالة إلى ما يجوز فيه النقل ولا يجوز فيه الحذف ، وما يجوز فيه الحذفُ ولا يجوز فيه النقلُ ، وما يجوزان فيه » (٢) . وأحال فى بيانه لهذه الاقسام على كتابه المقدمات ، وكان قد تعقب الفارسى فى إجازته : أضربتُ زيدًا عمرا ، فقال : إن هذا « لم يرد به نظم ولانثر ، ولا التبس به فكر » ، ثم قال ان « هذا الفصل يأتى على ثلاثة أحوال : منها ما يجوز فيه النقل ولا يجوز الحذف ، تقول : أوليتُ زيدا عمرا ، ولاتقول : وَلِى زيدٌ (٣) ، وتسكت . ومنها ما يجوز فيه الحذف ولا يجوز فيه النقل ، وهو : ضربت ونحوها ، تقول : ضرب زيد وتسكت ، ولا « تقول » أضربتُ زيدا عمرا . ومنها ما يجوزُ فيه النقلُ والحذف معا ، نحو : عطا درهما ، وأعطيته درهما ، وان شئت حذفته ، قالوا : عاط بغير أنواط .

وقالوا : أعطيتُ فى نائِبتهم ... » (٤) .

ولاشكَّ أنه فى كتابه المقدمات قد حدد خصائصَ كلِّ نوع من هذه

---

(١) الافصاح ، ورقة ٣

(٢) المرجع المتقدم ، ورقة ١٦ .

(٣) فى المصورة : « ولى زيدا » .

(٤) الافصاح ورقة ٩ ـ ١٠ .

الأُفعال الثلاثة ، وكان يتوسل بذلك الى أن يُغنِيَ الناظر فى العربية عن الرجوع الى معاجم اللغة يتعرف منها حُكمَ كل فعل على حدة ، وهذا يعنى أنه كانت منه مشاركة فى تَقعيدِ القواعد ، وأنه أدلى بدلوه مع المتقدمين فى التعريف بخصائصِ هذه اللغة .

ومن يقرأ الإفْصاحَ يَجِدْ له تقسيمات للزمان والمكان جديدة ، فتراه يقول فى صدر الكتاب : « والزمان والمكان يقع البحث عليها من أربعة أوجه ، أحدها : ما الزمان والمكان مرسلين ؟ وماهما مضافَين ؟ وماهما ظرفَين ؟ — والصواب وصفين —.وما هما جاريين ؟ ... » (١) .

ولقد ذكرنا من قبل تقسيمه للمنصوب إلى أربعة أقسام ، وقوله ان « المنصوب يأتى على أربعة أوجه : مفعول به ، ومضاف اليه ، ومنقول عنه ، ومسئول منه » (٢) وعَرَّفنا هنالك ببعض هذه الاوجـــه .

فأما عنايته ببيان الفروق بين المتشابهات فيمكن تَلَمُّسها من قوله : « والفرق بين الحال والتمييز فى ستة مواضع بيّنت فى المقدمات » (٣) . وقوله : « وقد بينت أوجه الفاءِ الرابطة وفرقتُ بينهما وبين العاطفات فى المقدمات » (٤) .

هذا الجانب الذى أشرنا اليه ، وهو أن الرجل كان صاحب تقسيمات جديدة وتحديداتٍ للمصطلحاتِ النحوية ، وأنه كان معنياً ببيان الفروق ، يُعطِى تصوّرا عاما لنحوه ، وهو أنه أُقيم على التأمل والمدارَسة ، وهذا

---

(١) المرجع المتقدم ، ورقة ٤ .
(٢) المرجع المتقدم ، ورقة ١٠ .
(٣) الافصاح ، ورقة ٢١ .
(٤) المرجع المتقدم ، ورقة ٢٦ .

الجانب فى الحقيقةِ أثرٌ من آثار الجانب الأول ونتيجة من نتائجه ؛ ومن ثم حُقَّ لابى الحُسَين أن يُدْرَج ضِمْنَ الأعلام المجتهدين الذين لم يكن جهدهم مقصورًا على الجمع وحدَه بل نظروا فى نصوصِ هذه اللغةِ ، وما قـاله النحاةُ المتقدمون ، وكان له من هذا النظر محاولاتٌ جديدة .

ومن يشارك فى النحو مشاركةَ أبى الحُسَـين ، لابد أن يكون لـه أعاريبُ تَميَّز بها ، وشواهدُ كان يعتمدها ، وآراءٌ فى التراكيبِ بين الرفض لبعضِها والإجازَةِ لبعضِها الآخر ، وسوف نُلِمُّ فيما يلى بأحـاديثِ أبى الحُسَين فى هذه الموضوعات ، بادئين بإعراباته :

(ا) إعراباته :

شَغَلت ظاهرةُ الإعرابِ النحاةَ منذ وُضِع النحو ، وكان قد هداهم استقراؤُهم الى أن نظم الكلمة فى الجملة له أثرُه فى أن تكون على حال مُعيّنة من الرفع أو النصبِ أو الجرّ أو الجزم ، ومن ثَمَّ كان موقعُ الكلمة أو اقترانها بنوع معين من الأدوات علامةً على أنها قـد اكتسَبت أثرا إعرابيا خاصا ، وكانت لَهُم فى هذا المجالِ أصولُهم وقوانينُهم . ولم يختلفِ النحاةُ فى أن المحدِث لهذه الآثار إنما هو المتكلم ، فهو الذى يرفع وينصب ويجر ويجزم ، ولكنهم اصطلحوا على تسمية هذه الأدوات عوامل من حيث انها أوجبت ذلك .

وقد دَرَج الناسُ أخيرا على أن يقولوا : إن نظرية العامل التى حَفَل بها النحو العربى خرافة ينبغى تجريد النحو منها . وكانوا فى هذا متأثرين بمقالة ابن مضاء القرطبى : « وأما العوامل النحويةُ فلم يقل بعملها عاقل ، لا ألفاظها ولا معانيها لأنها لا تفعل بإرادة ولا بطبع » (١) ؛ كـأن ابن

---

(١) الرد على النحاه ٨٨ .

مضاء أبى الا أنه يحمل مصطلح العمل على ظاهره ! وما تَصَوَّر واحد من النحاة أن : إنْ ولم ، ومَن ونحوها يمكن أن يُحدِث شيئا ، وإنما عَنَوا أنها إذا وجدت فى تركيب اقتضت نوعا معينا من العلامات فى الذى يليها ، والمتكلم هو الذى يفعَلُ ذلك ، فأما هى فلا تعدو أن تكون سببا ، وليست علة مؤثرة بذاتها .

وان من يتتبع كتاب سيبويه يجد أن « العمل » مصطلح قصد منه التعبير عن العلاقات بين أجزاء التركيب ، وأنه فى حقيقته نظرية يتمثل فيها طريقة النظم فى الجملة العربية ، وأن من يُتقِنْ فَهْمَ هذه النظرية يقفْ على أسرار التراكيب وأوضاعها المختلفة ، وأساس هذه النظرية أنه اذا كان أحد الاجزاء فى التركيب طالبا لآخر من حيث المعنى فإنه يتشبث به لفظا ، وعلى هذا يتبين أن المقصود من القول بالعامل هو بيان الارتباط والتعلق بين أجزاء التركيب ، والاثر الذى ينشأ عن هذا التعلق ، ولا يتيح المقام هنا أن نُفيض فى بيان ذلك ، ولكنى اكتفى هنا بالحديث عن عامل قد يستهجنه بعض الثائرين ، وهو الابتداء :

ذكر سيبويه من العوامل الابتداءَ ، وذلك حيثُ تُوجَدُ الكلمة على حالٍ لاتكون معهامطلوبة من كلمةأُخرَى قبلها أو بعدها ، وحينئذتأخذ حكم الرفع ، ويقال : إن العامل هو الابتداء ، استمع اليه يقول : « هذا باب من الاستفهام يكون الاسم فيه رفعا ؛ لأنك تبتدئه لتنبّه المخاطب ، ثم تستفهمُ بعد ذلك ، وذلك قولك : زيدُكم مرة رأيته ، وعبد الله هل لقيته ، وعمرو هلا لقيته ، وكذلك سائر حروف الاستفهام ، فالعامل فيه الابتداء » (١) .

(١) الكتاب ١/٦٤ .

ولقد دلل سيبويه بعدَ هذا على عدم الطلب بأنه لو قلت : « أرأيت زيدا هل لقيته ؟ كان (أرأيت) هو العامل » ؛ يقصد بهذا بيان أن الفعل الواقع بعد « هل » لا يطلب المتقدم ؛ لأنه لو كان يطلبه لما أثر فيه هذا العامل ، أعنى (رأيت) . وهذا من أبدعِ ما قاله سيبويه على أن هذه الكلمة المبتدأة غير مطلوبة لما بعدها ، بل هى الطالبة له ؛ وإذا كان الاسم المبتدأ به بهذه المثابة فما بعده مبنىٌّ عليه ؛ وقد اصطلَحُوا على أن يقولوا : إن العامل فيه الابتداء . وهو عبارة عن أنه غير مطلوب أو غير متعلق بشىء قبله أو بعده ، وما كان سيبويه أو من خَلَفه من النحاة يعتقد أن شيئا اسمه الابتداء يَعمَل ! ولكنهم هكذا اصطلحوا ، ولا مشاحّة فى الاصطلاح ، وكأن طالبا سأل فى أول الامر عن الذى عَمِل النصبَ فى الاسم فى نحو : (إن اللهَ برىءٌ من المشركين ورسوله) ، فقيل له : إنّ ، وسأل آخر عن الذى رفع الاسم فى قوله : (الله ولى الذين آمنوا) ، فقيل : الابتداء ، ثم مضى النحاة على هذا مستسيغين لفظ العمل والعامل والمعمول ، فى بيان الارتباطِ والتعلّق بين أجزاءِ التركيب ؛ ولقد عَرَف المتقدمون من النحاة أن فى هذا المصطلح تسامحا ، كما كانوا يَعرِفون أن فى كثير من مصطلحاتهم نحو ذلك .

وقد استبدلَ ابنُ مضاء مصطلحَ التعلّق بالعامل فى باب التنازع ، وهذا لايعنى جديدا ، ولو اتبعناه لكان علينا أن نعنى فى بعض الابواب ببيان جهة التعلق كما فعل هو فى هذا الباب ، وأن نغفلها كما حاول أن يفعل فى باب الاشتغال وغيره ، ومع ذلك وَقَع منه فى باب الاشتغال ما قاله النحاة أجمعون ، فقد قال : « واذا قلت (زيدا فاضربه) ، فلا يجوز فى زيد إلا النصب ، ولا يجوزُ فيه الرفع على الابتداء » (١) فهل قوله « على الابتداء » إلا ما عناه النحاة بعامل الابتداء ؟ وهل لنا أن نسأله : إذا امتنع

---

(١) الرد على النحاه ١١٩ .

رفعه على الابتداء ، فعلى أى شيء نصب الاسم ؟ وهو منهج كما ترى مضطرب وخال من بيان العلاقات تلك التى عُنيت بها نظرية العامل .

ولكننا نُسجِّل هنا أن المتأخرين قد تخلُّوا عن هذا الغرض فى بعض تحليلاتهم ، حتى غدا حديث العامل فى قولهم خلوا من المضمون .

ونعود الآن الى ابن الطراوة ، لنرى ما كان له من أثر فى هذه النظرية :

القصد اليه :

أهمُّ ما ينسب اليه فيها أنه أضاف عاملا جديدا ، هو : القصدُ اليه ، وهو عامل معنوى كالابتداء ، وقد نَبَع اعتدادُه بهذا العامل من أن بعض المعمولاتِ من الاسماء والاحداث قد يُقصَد إلى ذكرها خاصة ، من غير حاجة الى الاخبار عنها أو تسليط عامل لفظى عليها ، وقد ذكر لنا تلميذه السهيلى ما يمكن أن تَتَعرَّف به هذا العامل ، يقول متحدثا عن أقسام الحدث : فالحدث إذا على ثلاثةِ أضرب : ضربٌ يحتاج إلى الاخبار عن فاعله ، وإلى اختلاف أحوال الحدث ، فيشتق منه الفعل دلالة على كون الفاعل مخبرا عنه ، وتختلف أبنيته دَلالةً على اختلاف أحوال الحدث . وضرب يُحتاج إلى الإخبار عن فاعله على الاطلاق ، من غير تقييد بوقت ولاحال ، فيشتق منه الفعل ولا تختَلِف أبنيته ، نحو ما ذكرنا من الفعل الواقع بعد التسوية ، وبعد ما الظرفية . وضربٌ لايحتاج إلى الإخبار عن فاعله ، ولا الى اختلاف أحوال الحدث ، بل يحتاج إلى ذكره خاصة على الإطلاق ، مضافاً إلى ما بعده ، نحو : سُبحانَ الله ! فإن (سبحان) اسم ينبىء عن العظمة ، فوقعَ القصد إلى ذكره مُجرَّدا عن التقييدات بالزمان أو بالأحوالِ ؛ ولذلك وَجَب نصبُه كما يجبُ نصبُ كلِّ مقصودٍ اليه بالذكر ، نحو : إياك ، ونحوُ : ويلَ زيدٍ وويحَه .. » (١) .

---

(١) نتائج الفكر ورقة ١١٠ .

هذا وأمثلة الاشتغالِ والمفعولِ المقدَّم بجعلها ابنُ الطراوةِ منصوبةً بالقصدِ ، يقول السهيليّ أيضا : « ومما انتصبَ لأنه مقصودٌ اليه بالذكرِ : زيدًا ضربته ، وهو مذهبُ شيخنا أبى الحُسَين ، وكذلك : زيدًا ضربت ، بلاضمير ، لايجعَله مفعولا مقدما ؛ لأن المعمول لايتقدم على عامله ، وهو مذهب قوى .. » (١) .

وقد تبين من كلام السهيلى أساسُ القول بهذا العامل ، وهو أن المعمول لايتقدم على عامله ؛ فما عدّه النحاة مفعولا مقدما ومنصوبا على الاشتغال هو عند ابن الطراوة منصوب بالقصد إلى ذكره ، ولا عَلاَقَةَ له بالعوامل بعده ،وقد وجّه السهيلى القول بهذا العامل فقال : ان « الفعل كالحرف ، لانه عامل فى الاسم ودال على معنى فيه ، فلا ينبغى للاسم أن يتقدم ، كما لا يتقدم على الحرف .. (٢) » وقد أخذ السهيلى بهذا العامل فى بعض صُوَر الاشتغال ، كما قال به فى باب النداءِ ، ومن كلماته : « والمنادَى منصوب بالقصدِ إليه وإلى ذكره (٣) » ونسبَ إليه أبو حيان أن الاسمَ عنده فى باب الاغراء « مفعول به من جهة المعنى ، وإن لم يعمل فيه عامل لفظى (٤) » .

هذا ولم يناقش المتأخرون هذا العامل ، وكل ما قالوه : « إنه لم يعهد فى عوامل النصب (٥) » ، ولكنه يستحق وَقفة نظرٍ وتقدير ، ذلك أن ما يقوله النحاةُ من أن العاملَ فى مثل هذه الاسماء مقدّر ، قولٌ لا يقوم على أساس قوى ، إذ لم يعهد ظهوره فى شيء من الكلام ،ومما يُقَوّى القولَ بهذا

---

(١) المرجع المتقدم ، والورقة نفسها .
(٢) انظر دراستنا عن أبى القاسم السهيلى ٣٠٢ .
(٣) نتائج الفكر ، ورقة ١٢ .
(٤) الارتشاف ، ض ٤٩٨ .
(٥) العوامل النحوية للدكتور عبد اللطيف سرحان ٥٢ ــ ٥٣ .

العامل أنه وثيق الصلة بالنظرةِ البلاغيةِ التى تقولُ : ان ما قُدِّم فلغرض نحو : الاهتمام او التخصيص ، وليس بين الاهتمامِ وبين القصدِ إليه فرق ، بل يكادُ يكونُ كلٌ منهما عينَ الآخر .

وقد أشارَ ابن الطراوةِ إشارة عابرة إلى هذا العامل فى كتابه الإفضاح، وبين أن الاسمَ إذا قُدِّم مرفوعا يكون مُنَبَّها عليه ، وإذا قدم منصوبا يكون مقصودًا اليه ، ثم قال : « وفى المنبّه عليه والمقصود إليه ، وأنَّ لكل واحد منهما معنىً على حِياله يُحشَدُ من الشاهِد عليهِ من القرآنِ ومنظومِ كلام العربِ ومنثورِه ، فى « المقدّمات » ، ما يلزَمُ الإقرارُ به ، والتسليمُ له ، إن شاء الله تعالى (١) » .

الاسماء يعمل فيها ولاتعمل :

هذا أَحدُ أصوله فى العمل ، فقد تَعقَّب الفارسى فى باب النداء فى قوله : « المضاف عامل فى المضاف اليه » فردّ عليه ابنُ الطراوة : « والاسماء يُعمَل فيها ولا تَعمل (٢) » على أن الفارسى رجع عن قوله فى باب الاسماء المجرورة ، فقال : « وضرب ينجر بإضافة اسم مثله إليه » وهنا يقول ابن الطراوة : « هذا هو الصواب ، لا ماقاله فى باب النداء : المضاف عامل فى المضاف اليه » والسر فى عدم عمل الاسماء هو أن معانيها فى أنفسها ومن ثم هى لا تطلبُ غيرها ، فأما الحرفُ فمعناه فى غيره ، ويبدو أن الفعل عنده كذلك ، فقد كان تلميذه السهيلى يرى أنه يدل على معنى فى الفاعل ، وهو كونه مخبرًا عنه ، ومن ثم فهما يتشبّثان بما بعدها ويطلبانه وفاءً لحق المعنى ، وهذا هو العمل . ويبدو أن السهيلى قد

---

(١) الافصاح ، ورقة ٩ .
(٢) المرجع المتقدم ، ورقة ٢٣ .

تأثر بشيخه فى هذا القول (١) .

وقد يتساءل سائلٌ فيقول : ما الفائدة التى نجنيها من قولنا ان العامل هو المضاف أو الاضافة ؟ إن النظرية قد تُسْلِمُ فى بعض تطبيقاتها الى ماقديُعدُّ غريبا ، فنحن قد نتصورُ العلاقة بين الفعل وكل من الفاعل والمفعول والظرف والحال ، وندرك أثر الارتباط بينه وبين كل من هذه الاشياء ، وذلك لانه طالب لها من حيث المعنى ، فاذا وجدنا متضايفين نحو : غلام زيد ، فإن ابن الطراوة ومن يقول بقوله لا يرى فى « غلام » من المعنى ما يطلب به زيدا حتى يعمل فيه ، ومن هنا أحال العمل على الاضافة ، أى عمل المتكلم ، فهو الذى عقد بينهما علاقة التبعية .

العامل فى المصدر المؤكد :

سأل السهيلى فى النتائج شيخَه عن هذا العامل فقال : « وقد سألته عن العامل فى المصدر إذا كان توكيدا للفعل ، والتوكيد لا يعمل فيه المؤكَّد ، إذ هُوَ هُوَ فى المعنى ، فما العامل فيه ؟ فسكت قليلا ثم قال : ما سألنى عنه أحدٌ قبلك ! فأرى أن العامل فيه ماكان يعمل فى الفعل قبله لو كان اسما ، لأنه لو كان اسما كان منصوبا بفعلتُ المتضمنة فيه » (٢) .

وقد أخذَ السهيلى على شيخه أنه ذَهَل عن كلام سيبويه فى ذلك ، يقول : « وذلك أنه « يعنى سيبويه » جعل المصدر المؤكد منصوبا بفعلٍ هو التوكيد على الحقيقة ، واختُزِل ذلك الفعل ، وسدّ المصدر الذى هو معموله مَسَدَّه ، كما سدت (إياك) ، و (رُوَيدا) مسدَّ العامل فيهما ، فصار التقدير : ضربت ضربت ضربا ، فضربت الثانية هى التوكيد على الحقيقة،

---

(١) انظر دراستنا عن السهيلى ٢٧٧ وما بعدها .
(٢) النتائج ، ورقة ٨٧ .

وقد سدَّ (ضربا) مسدّها ، وهو معمولها ، وانما يقدر عملها فيه على انه مفعول مطلق (١) لا توكيد » (٢) •

ولكن السهيلى مع ذلك يأخذ برأى شيخه يقول : « والذى أقول به الآن قولُ الشيخ أبى الحسين » • وَسِرُّ عدوله عما نسبه الى سيبويه أن الفعل المختزِلَ معنى ، والمعانى لا يؤكد بها ، وإنما يؤكد بالألفاظ ، ولكن كيف يُؤَكَّد الحدَثُ المتضمَّن ؟

يلجأ السهيلى إلى القياس فيقول : « فضربت يتضمن الضرب المفعول ولذلك تضمِرُه فتقول : من كذب فهو شر له ، أى : فالكـــذبُ شر له • وتقيّده بالحال فتقول : قمنا سريعا ، فسريعا حال من القيام ، فكما جـاز أن تقيده بالحال ، وأن تكتنى عنه بهو ، جازَ أن تؤكّده بضربا ، كأنك قلت : ضربا ضربا ، ونصب الأول ضرباً الثانى ، وبه يعمل فى الثانى معنى فعلت»

ومن هذا يتبين أن العامل فى المصدر المؤكّد هو تبعيتُه للمصدر المتضمَّن فى الفعل ، فكأن ما تضمنه الفعل هو العامل فيه ، وبهذا تخلص ابن الطراوة من عمل المؤكد فى التأكيد ، فالعامل متضمَّن ، وهو غير المؤكد وغير التأكيد •

على أن أبا حيان يعرِض رأى ابن الطراوة على غير ماهو عليه ، يقول : « وزعم ابنُ الطراوةِ أنه مفعولٌ به ، والتقدير : قعد ــ فَعَــلَ ــ قعودا ، فهو منصوب بفعل مضمر لا يجوزُ إظهاره (٣) » ولم يقل ابن الطراوة ذلك فالمفعول عنده ما تضمنه الفعل من الحَدَث ، ثم هو مفعول مطلق لا مفعول

---

(١) يخص السهيلى المصدر المحدود والمنعوت بمصطلح المفعول المطلق .
(٢) النتائج ، ورقة ٨٧ ، وانظر الكتاب ١١٨/١ •
(٣) الارتشاف ٦٤٣ ــ ٦٤٤ . وانظر الهمع للسيوطى ١٨٧/١

به لانه المفعول حقيقة (١) وهو ما أفصح عنه السهيلى بان المعنى : فعل ضربا : وأما (ضربا) الملفوظ بها فهى توكيد للمفعول المتضمن • وزاد الامر وضوحا فى نهاية المسألة بقوله : « إنما ينتصب « يعنى المصدرَ المؤكَّد » كما ينتصب (زيدا) الثانى فى قولك : ضربت زيدا زيدا ، انتصب من حيث كان هو الأول ، لا أنك اضمرت فعلا ، فتأمله » (٢) •

والقولُ بهذا العامل أدلّ شيء على ما بيناه من قبل ، من ان مقصود النحاة بالعمل هو التعلق والارتباط ، فلم يقل : « ان الفعل هو العامل »، لانه هو نفس التوكيد ، والشيء لا يتعلق بنفسه وانما يتعلق بغيره ، ومن هنا قال إن العامل ما تضمنه الفعل من معنى « فَعَل » ، وأن المؤكَّد ما تضمنه الفعل أيضا من معنى الحدث ، والذى دعا أبا الحسين أن ينزع إلى هذا المنزَع هو إحساسه بالارتباط بين العامل والمعمول وأن الأول طالب للثانى من حيث المعنى ، ولو كان القول بالعامل شيئا لا يقوم على اساس لسارع إلى اجتلابِ عاملٍ ما ، ولكنّ الأوائل ــ رحمهم الله ــ كانوا أثقَب أذهانا ، وأعرف بما يقولون ، وأكثر ادراكا لما يصدُر عنهم •

ما تقدم كان بعضَ أصوله فى العمل ، أو فى بيان العلاقات بين أجزاء التركيب ونُقدّمُ الآن من أعاريبه ، التى قد تُفصِح عن فهمه لتكوين الجملة :

---

(١) من الاصول التى نبه عليها السهيلى ــ ولعله فيها متأثر بابن الطراوة ــ أن الافعالَ العامة نحو « فعل » لاتؤكَّد بمصدر ، كما أنها لا تتعدى الى المفعول به ، لأن الافعال العامة عنده لا تتعلق الا بالاحداث لا بالجواهر .

(٢) النتائج ، ورقة ٨٧ ــ ٨٨

إجازته إلغاءَ كان وظن مع التقدم :

قال السيوطى : « وجوَّزَ الجمهورُ رفعَ الاسمين بعد كان ، وأنكره الفراء ، وردّ بالسماع ، قال :

إذا مِتّ كان الناسُ صنفانِ شامتٌ
وآخرُ مُثنٍ بالذى كنتُ أصنعُ

وقال :

وليس منها شفاءُ الداءِ مبذولُ

ثم اختلفوا فى توجيه ذلك ، فالجمهور على أن فى (كان) ضمير الشأن اسمها ، والجملة من المبتدأ والخبر فى موضع نصب على الخبر . ونقل عن الكسائى أن (كان) ملغاة،ولا عمل لها ، ووافقه ابن الطراوة»(١)

وفى باب ظن يقول السيوطى : « أما إذا تَصَدَّر الفعل فلا يجوز الالغاء عند البصريين ، وجوزه الكوفيون والاخفش ، وأجازه ابن الطراوة الا أن الإعمالَ عنده أحسن (٢) » .

ولم يكن ابن الطراوة فى قوله هذا متابعا للكوفيين ، ولكنه فى الحقيقة كان يحتكم الى نظرية العامل ، ذلك أن (كان) و (وظن) و (إن) وحروفَ المعانى أجمعَ كان الشأن فيها أن لا تعمل فيما بعدها ، فأما (كان) فلأنه لا ارتباط لها بجزئى التركيب بعدها ، وإنما بمضمون الجملة ، وأما (ظنَّ) فإنها تتعلق بالظان ومضمون الجزئين بعدها ، ولا ارتباط لها بعين هذين الجزئين ، وقس على ذلك حروفَ المعانى . وقد أجاز الالغاء احتكاما لنظرية العامل ، ولورُودِ السماعِ به . وقد أفصحَ السهيلى عن ذلك ،ولعله

---

(١) الهمع ١/١١١ .
(٢) المرجع المتقدم ١/١٥٣ .

متأثر فى ذلك بشيخه ابن الطراوة (١)

***

وإعراب قوله تعالى : (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رِزْقًا من السموات والأرض شَيئًا) (النحل ، آية ٧٦) .

أعرب الفارسى (شيئا) منصوبا بـ (رزقا) . وقد تعقبه ابن الطراوة فقال : « وهذا خطأ ، لان الرزق اسم بمنزلة الطحن والرعى « يعنى بكسر الفاء » لايجوز عَملُ شيء منه فى غيره . فأما (شـيئا) فى الآية فينتصب انتصاب الحدث كناية عن القلة ، كما قال : (لا تجـزى نفس عن نفس شيئا) والمعنى : قليلا ولا كثيرا . ومثله قوله : (لقد كِدْتَ تركنُ إليهـم شيئاً قليلا) ، كأنه قال : رُكونا قليلا . وهذا فى القرآن وكلام العرب كثير ، وهو فى استعمال العامة أفشي من أن يُحْتَج له أو يُنبَّه أحد على تفسيره ، كقولهم : انتظرنى شيئا ، ولم أقل له شيئا (٢) » .

ومن يتأمل إعراب ابن الطراوة ونفيه أن يكون نحو : الرِّزق والطحن والرِّعى عاملا ، يدرك ما سبق ان قلناه من أن قضية العامل تقوم أساسا على بيان أنواع العلاقات ، فهذه الأسماءُ لا تعمَلُ لأنها خالية من الدلالة على الحدث ، وقد تمحّضت للدلالة على الذات نحو الحجر والشجر ومن ثم لا تراها أبدا طالبة لغيرها ، وإنما هى حيث كانت مطلوبة او معمـولة . ولذلك بَحَثَ عن عامل يعمل فى شيئا ، ولم يقل إنها منصوبة على المفعولية ، بل هى فى الاصل صفة لموصوف محذوف .

***

وانظر إلى إعرابه لبيتِ الحطيئة يتمكن هذا المعنى أتم تمكن :

أَمِـن رَسْـمِ دَارٍ مَرْبَـعٌ وَمَصِيفُ ... بِعَيْنَيْكَ مِـنْ مَـاءِ الشُّـئُونِ وَكِيفُ

---

(١) انظر دراستنا عن السهيلى ٢٨٩ ومابعدها .

(٢) الافصاح ورقة ١٤ ، وانظر البحر المحيط ٩٦/٥

وكان الفارسى قد استشهد به على اضافة المصدر الى المفعول ، وذلك فى (رسم دار) ، وأعرب (مَربع ومَصيف) فاعلاً برَسْم ، فقال ابنُ الطراوة : « وهذا التقدير زيفٌ لا وجهَ له ، لأن الرسم اسم لما بقى فى الدار من الرماد والزبل ونحوهما ، مما يُتَذَكَّر به مَن دَمَّنها وأقام بها . واذا ثبت ذلك امتنع أن يرفعَ شيئا أو ينصب ، كما امتنعَ الرِّزقُ والخُبزُ والدُّهنُ من ذلك (١) » .

فتراه منع أن يُعمَل (رَسْم) فى (مَرْبَع) لأنه لا يطلبه ، واذا كان كذلك فهو من جملة أخرى بينه وبين أجزائها ارتباط محقق ، يقول ابن الطراوة : « وبعد ، فإن المَرْبَعَ محلّ القوم حيث كانوا ، والمربَعُ محلهم فى الربيع خاصة ، فالرسم هو المربع والمصيف ، وارتفاعه على القطع ، كما تقول : مررت برجلين مسلم وكافر ، قال الله تعالى : (لقد كان لكم آية فى فئتين التقتا ، فِئةٌ تقاتل فى سبيل الله وأُخرى كافرة ، يرونهم مثليهم رأى العين) » .

أمثال هذه الاعاريب تردَّد فى كتاب « الإفصاح » ، وهى ناطقة بأن النحاةَ فى قولِهم بالعاملِ ، كانوا يَصدُرون عن منهج ، هو بيانُ مابين أجزاء التركيب من علائق ، وتحديدُ الصفاتِ التى تجعَل بعض الكَلِم طالبا ، وبعضَه الآخرَ مطلوبا .

***

على أن النحاةَ قد يَختلِفون فى إعراب بعض الكَلِم ، ولا يكون اختلافُهم عائدا إلى قضيةِ العامل ، وانما يكون مصدرُه بيان نوع الكلمة أهى اسم أم حرف ، وهو اختلاف — كما ترى فى الدلالة ، يترتب عليه الحكم باسميّةِ الكلمة أو حرفيتها وكاختلافِهم فى تفسير المصطلح النحوى ،

---

(١) الافصاح ، ورقة ١٤

وذلك كاختلافهم فى المشتمِل والمشتمَل عليه فى بدل الاشتمال ، الى غيرذلك من خلافات نعرض لبعضها فيما يلى من خلال أعاريب ابن الطراوة :

رب اســـم :

قال السهيلى فى إعراب قوله عليه السلام : (رُبَّ كاسيةٍ فى الدنيـا عاريةٌ يوم القيامة) : « وأجازَ الكِسائىُ أن تكونَ (ربَّ) اسما مبتدأ ، والمرفوع خبرها . وإليه كان يذهبُ شيخنا أبو الحُسَين سليمان بن الطراوة السَبَئِىُّ . ومنذ سَمِعتُ هذا القولَ لم أقدر أن أعرِّج معتقَدِى عنه ..(١)» ولم يبلغنا كلام ابن الطراوة فى توجيه هذا الاعراب ، ولكن السـيوطى قال : « وزعم الكوفيةُ وابنُ الطراوةِ أنها اسم مَبْنِىّ ، لأنها فى التقليل مثل (كم) فى التكثير ، وهى اسم بإجماع ، وللإخبار عنها فى قوله :

إن يَقتلُـوكَ فـإنّ قتلَكَ لـم يَكُـنْ
عَـارا عَلَيْـكَ ، وربَّ قَتـلٍ عـارُ

فربّ عندهم مبتدأ ، وعار خبره (٢) » .

فإذا أعرب ابن الطراوة (كم) اسما فى نحو الحديث والبيت ، فلأنَّ معناها مخبر عنه وَمُنبَّه عليه ، والمنبَّه عليه ــ كما قدمنا له ــ يكون مبتدأ ، وكأنه قيل : قليل من الكاسيات عارٍ ، وبعضُ القتل عارٍ .

***

إعراب قوله تعالى : (قُتِلَ أصحابُ الأُخدودِ . النارِ) (البروج ٤ــ٥)

قال الفارسى إن « الاخدودَ مشتمِلٌ على النار » وقال ابن الطراوة : « وهو قول بارد جدا ، وهو بَدَلٌ منه بَدَلَ الشىء الــذى هوهو ، لأن

---

(١) الامالى ، ورقة ٢٥ ــ ٢٦
(٢) الهمع ٢/٢٥

الأخدودَ إذا تُركت فيها النارُ تسمى نارًا كالحطب والفحم وغيره مما تلبس به النار ، لأنها لا توجد إلا به ، ولا تتميز عنه » (١) •

***

سحر : مبني على الفتح :

والنحاة مختلفون فى سحر المراد به يوما بعينه ، والمشهور فى اعرابها أنها ممنوعة من الصرف للعلمية والعدل ، على أن ابن الطراوة كان يراها مبنية ، يقول السيوطي : « وقيل : إنه مبني على الفتح لتضمنه معنى حرف التعريف ، كما أن أمسِ بنى على الكسر لذلك • والى هذا ذهب صدر الأفاضل ناصر المطرزى (٢) وابن الطراوة ، ونَصَره أبو حيان (٣) »

وقد أشار ابنُ الطراوة الى « سَحَرَ » فى الافصاح إشـــارة عابرة ، وأحال على المقدمات فى بيانِ بابها (٤) •

***

هذا ولابن الطَّراوَةِ أعاريبُ أخرى يحسُن الرجـوع اليها فى مغنى اللبيت وهمع الهوامع (٥) •

ب ـ آراؤه فى التراكيب :

نسوق فيما يلى أحكامَه على التراكيب قبولا أو اختيارا أو رفضا ، محاولين أن نتعرفَ شواهدَه وأقيستَه التى اعتمدها ، ذلك لأن الحـــكم

---

(١) الافصاح ، ورقة ٢٦

(٢) ولد المطرزى بعد وفاة ابن الطراوة بعشر سنين ، انظر بغية الوعـاه ٣١١/٢ •

(٣) الهمع ٢٨/١ •

(٤) الافصاح ، ورقة ١٧ ـ ١٨

(٥) انظر مغنى اللبيب : ٨٢ ، ٢٨١ ، ٣٠٣ ، ٥٠٩ ، والهمع : ٦٧/١ ، ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٥ ، ١٢٢/٢ •

بإجازة بعض التراكيب أو اختيارها ، وعدم الإجازة لشيء منها لا يقـدم عليه إلا مَن تكاملت فيه أهليةُ البحثِ والنظر ، وكان مستندا فيما يقول إلى شواهدَ معتمدَةٍ وأقيسةٍ صحيحة :

***

* إجازته مجيء الحال من النكرة :

رَدَّ ابن الطراوة على النحاة تضعيفهم لمجيء الحال من النكرة ، وكان فى هذا معتمدا على القياس والسماع ، وقد حكى لنا السهيلى كلامه فقال « أما القياسُ فكما جازَ أن يختلف المعنى فى نعت المعرفة والحال منهـا ، إذا قلتَ : جاءنى زيدٌ الكاتب ، وجاءنى زيدٌ كاتبا ــ وبينهما من الفرق ما تراه ــ فما المانعُ من اختلاف المعنى كذلك فلابد من الحال إذا احتيج اليها . كاتب ، أو : برجل كاتبا ، وإذا كان كذلك فلابد من الحال إذا احتيج اليها

وأما السماع ففى الحديث : صَلَّى خلفَه رجالٌ قياما (١) »

وكان تعقيبُ السهيلى : « والذى قاله الشيخُ صحيحٌ ، ولكن أكثر الكلام على ماقاله النحويون ، إيثارا لاتفاق اللفظ ، ولتقـارب مـا بين المعنيين فى النكرة وتباعُدِ ما بينهما فى المعرفة » .

ولعلّه قد بدا من كلام ابن الطراوة أن المتكلم قد يكون من أغراضـه التقييدُ بالحال وصاحبُها نكرة ، وأنه بهذا يحقق نوعا من الإفادة ، وقد قيل إن سيبويه أجاز مثل هذه الحال ، يقول السيوطى : « واختار أبوحيان مجيءَ الحال من النكرةِ بلا مسوغ كثيرًا قياسًا ، ونقله عن سيبويه (٢) »

---

(١) نتائج الفكر ، ورقة ٥١ .
(٢) الهمع ١/٢٤٠

* إجازته وصف المعرفةِ بالنكرة المختصة :

وهذا القولُ قد تبدو فيه مخالفة صريحة لقول سيبويه : « واعلم ان المعرفةَ لا توصَف الا بمعرفة ، كما أن النكرة لا توصفُ الا بنكرة » (١) .

ولكن النحاةَ يقولون : « وجوز أبو الحُسَين بن الطراوةِ وصف المعرفة بالنكرة إذا كان الوصفُ خاصا بالموصوفِ ، لا يُوصَف به غيره ، كقوله :

في أنيابها السمُّ ناقعُ

قال : ناقع ، صفة للسم » (٢) .

ويبدو أن هذه إحدى المسائل التى خالف فيها سيبويه ، فقد عَقَد سيبويه فى كتابه بابا قال فيه : « هذا باب ما ينتصف فيه الخبر لانه خبر لمعروف يرتفع على الابتداء ، قدمتَّه أو أخرته (٣) » ومَثَّل بنحو ، فيها عبد الله قائما ، وعبد الله فيها قائما ، وقال إن الظرف فى هاتين الجملتين هو الخبر ، وقد انتصب قائما على الحال ، وقال : إنه يجوز أيضا الغاء الظرف فيرتفع الاسم على الخبرية ، فيقول : فيها عبد الله قائم ، وعبد الله فيها قائم ، ومثل لذلك ببيت النابغة :

فَبِتُّ كأنّى ساوَرَتْنى ضَئيلةٌ
مِنَ الرُّقْشِ فِى أنيابِها السمُّ ناقِعُ

وبيتِ المُتَنَخِّلِ :

---

(١) الكتاب ١/٢٢٠

(٢) همع الهوامع ٢/١١٧ ، وانظر الاشمونى ٣/١٠

(٣) الكتاب ١/٢٦١

لادَرَّ دَرِّىَ إن اطعمْتُ نــازلَكُــمْ
قِرفَ الحَتِىِّ ، وعنــدى البُرُّ مكنوزُ

وبيت ابن مقبل :

لا سَـافِرُ النَيِّ مَـدخولٌ ولا هَبِـجٌ
عـارى العظـامِ ، عليه الودْعُ مَنظومُ

ويبدو أَنَّ ابن الطراوة تأملَ هذه الأبياتِ وأمثالَها ، فرأى أن هــذه الأوصافَ كثيرا ما تَصحَبُ موصوفاتِها ، حتى كانها مختصّة بها وكأن سائلا لو سأل : ما الناقِعُ ؟ لقيل: السّم ، وما الشىء الذى يكتنز ؟ لقيل فى الاجابة ضمن ما يجاب به : البرّ ، وما الذى ينظم ؟ لقيل أيضا : الوَدْعُ ــ وهــو الخَرَزُ .

ومن هنا أجاز أن توصَفُ المعارف بالنكراتِ إذا كانت الصلة بــين الموصوف وصفته على نحو الأبيات المتقدمة ، ولم يُعرِبِ الوصفَ خبرا كما أعربَ صاحب الكتاب ، وكأنه رأى القول بالخبرية بعيدا ، ذلك أن تقديم الظرف يُشعِرُ بأنه المحدَّث به ، فالمقصود من بيت النابغة الافادة بأن السم فى أنيابها ، ومن بيتِ المتنخّل أن عنده البر ، وفى بيت ابن مُقبل أن عليه الوَدْعَ ، ومن هنا جعل الظرف خبرا ، والمبتدأ موصوفا بما بعده .

ويغلب على الظنّ أن حديث ابنِ الطرلوة عن هذا النعت فى كتــابه المقدمات وعند هذا الباب من كتاب سيبويه .

● **إجازَتُه توكيدَ النكرةِ المحدودةِ بألفاظِ الاحاطةِ :**

وهذا القولُ يُنسَب إلى الكوفيين والأخفش ، وقد ذكره ابنُ الطراوة « فى الإفصاح » وهو يوازِن بين « كلا » و « كل » وممــا قــاله عن كلا : « وأنها تلى المنكور فى نحو قوله :

أُولَاكَ بنُو خَيْرٍ وَشَرٍّ كِلَيْهِما

ولا يكونُ هذا فى باب أجمعين ، « إلا » (١) ما كان اسما منكورا لعدد معلوم ، فإنه يجوز توكيده بكل وأجمعين ، قال :

نَمكُثُ حَولاً كاملاً كُلَّه
لاتلتقى إلا على مَنْهَجِ

وقال فتى من الاعراب :

ياليتنى كنتُ الصبىَّ المرضَعا
تحملنى الذلفاءُ حولاً اكتعا
إذا بكيتُ قبلتنى أربعا
إذاً أظلُّ الدهرَ أبكى أجْمَعا (٢)

هذه النصوص وأمثالُها هى التى جعلَته يأخذُ بهذا القول ، ويعدل عن رأى أكثر البصريين الذين منَعوا توكيدَ النكرةِ بشىءٍ من ألفاظ الإحاطة ؛ وقد أخذ به ابن مالك وقال : « وهذا القول أولى بالصواب ؛ لصحة السماعِ بذلك ، ولأن فيه فائدة ، لأن من قال : صمت شهرا ، قد يريد جميع الشهر وقد يريد أكثره ، ففى قوله احتمال يرفعَه التوكيد .. » (٣).

● إجازته عطف الفاظ التوكيد بعضها على بعض :

لم يقع لى كلامُه فى ذلك ، يقول السيوطى (٤) : « ولايجوز تعاطفها ، أى : عطفُ بعضِ ألفاظ التوكيد على بعض ، فلا يقال : قام زيد نفسُه وعينُه ، ولا : جاء القوم كلّهم وأجمعون ؛ لاتحادهما فى المعنى ، خلافا

---

(١) مكانه فى المصورة : « لان »
(٢) الافصاح ، ورقة ٥
(٣) الهمع ٢/١٢٤ .
(٤) فى الهمع : « تعاطفهما » .

لابن الطراوة فى إجازته ذلك .. » (١) .

* اجازته نصب « الطريق » على الظرفية :

هذا من أشهر الاقوال المنسوبة الى ابن الطراوة ، والتى يؤاخذونه بها ؛ فالنحاة يقولون : إن « الطريق » من الظروف المختصة التى لايتعدى الفعل إليها إلا بواسطة « فى » ، ومن هنا قال الفارسى وغـيره فى بيت ساعدة بن جُؤَية :

لَـدْنٌ ، بِهَـزِّ الكفِّ يَعسِـلُ مَتْنُـهُ
فِيهِ ، كَمَـا عَسَـلَ الطريقَ الثَّعلَبُ

إنه محذوف منه حرفُ الجر ، كأنه : عَسَلَ فى الطريق ؛ وأن البيت ضرورة . وكان سيبويه قد ذكر هذا البيت ، وهو يتحدث عن الفعل الذى لايتعدّى ؛ وأنه يتعدى الى المكــان ، ومثل له بنحو : ذهبت المــذهب البعيدَ ، ثم قال : « وقد قال بعضهم : ذهبتُ الشامَ ، يشبه بالمبهم .. وهذا شاذ ؛ لانه ليس فى ذهب دليل على الشام ، ومثل ذهبت الشام : دخلتُ البيت . ومثل ذلكَ قولُ ســاعدةَ بن جُؤَيَّة ... » (٢) ، وذكر البيت المتقدم .

فمن النحاة من فهم كلام سيبويه على أن بيت ساعدة من الشاذ نحو : ذهبتُ الشام ، فأما ابنُ الطراوة فكان يرىَ أن الاشارة فى قول سيبويه « ومثل ذلك » عائدة على ما ذكره قبل نحو : ذهبت المذهبَ البعيدَ ، وأن البيت من المقيس المطرد يقولُ ابن الطراوة : « وإنما قــال سيبويه « ومثلُ ذلك » مشيرًا إلى المكان الذى قد ذكره ، لان الطريق صفة غالبة

---

(١) المرجع المتقدم والصفحة نفسها .
(٢) الكتاب ١٦/١

على كل مكان مستطرَق من برّ وبحر وأرض ؛ قال تعالى : (نقعدُ منها مقاعدَ للسمع) ، وليس الطريق الذى يقبل صورة الآثار خاصة ، ولكنه على ما يُتَوجّه سلوكُه ويُمكن وطؤُه ، وأيضا فإن الثعلب لايواطىء الطرقات ولايألَف العمارات .. » (١) .

وقد ذكر ابن هشام نحوًا من كلام ابن الطراوة (٢) ، وقال أبو حيان: « وذهب بعضُ النحاة ومنهم ابن الطراوة إلى أن انتصاب الطريق ظرفا يجوز أن يكون فى فصيح الكلام ؛ قال : وذلك مشهور فى الكلام جار على القياس ، قال : ومنه قول العرب : (أبعده الله وأسحقه ، وأوقد نارا أَثَرَه) قال : ويقال : ذهبت طريقى ، ومروا طرقاتكم » (٣) .

فترى من كلام ابن الطراوة ، كيف أحال لفظ الطريق إلى الابهام ، وكيف نَظَّر للطريق بقول العرب : « وأوقد نارا أَثَرَه » ؛ فأما قولهم : « ذهبت طريقى ومرّوا طرقاتكم » فلم ينسبه ابن الطراوة فى الافصاح الى العرب ، بل قال إنه مما قبّسته العامة من كلام العرب ، وأنهم لا يقولون غيره .

* إجازتُه حذفَ الجارّ إذا تعين :

نقل الدمامينى عن ابن عصفور : « أن الأخفش الصغيرَ وابن الطراوة ذهبا فى المتعدّى إلى اثنين أحدهما بنفسه والآخر بالجار ، أنه يجوزُ حذفُ الجار إذ تعين وتعيّن موضعُه ، لطول الفصل بالمفعولية ، فيجوزُ عندهما : بَريت القلمَ السكينَ ، وقبضت الدراهمَ زيدًا . ومنه : (واختار موسى قومه سبعينَ رجلا) (٤) .

---

(١) الافصاح ، ورقة ١٩ .
(٢) انظر مغنى اللبيب ٥٧٩ .
(٣) الارتشاف ٦٨٩ .
(٤) حاشية الصبان على الاشمونى ٢/٩١ ، وانظر الهمع ٢/٨٢ .

ولم ينته الينا كلام ابن الطراوة فى هذا ، ونكتفى بسوق ما نسب اليه إلى أن نقف على قوله .

*** إضافة الاسم إلى صِفَتِه ومرادفه :**

منعَ البصريون هذه الإضافَةَ وأَوَّلوا ماورد منها ، وحجتُهم أن الشيء لايتعرف بنفسه ، فالموصوف هو الصفة ، والمترادفان واقعان على حقيقة واحدة . ولكن ابن الطراوة يُجيز هذه الاضافةَ لورود السماع بها ، استمع إليه وهو ينقُدُ الفارسيّ فى منع هذه الاضافة : « وذكر إضافة الاسم الى الصفة وضعّفه ، ووجهما جاء فى القرآن منه إلى غير وجهه ، حتى أداه سوءُ النظر إلى قوله : دار الساعة الآخرة ، فان أراد بقوله : الساعة القيامة ، فلا تأقيت لها ، وان أراد الواحدة من الساعات فلا نهاية فيها ولا آخر لها إلا بانتهاء المخلوقات وطى السموات . وقد بينتُ هذا الفصل فى المقدمات ، وهو إضافة التخصيص ، ومنه : باسم الله ، ومكرَ السيِّءِ ، وقوله صلى الله عليه وسلم : يانساءُ المؤمناتِ . وقول الشاعر :

إذا حاصَ عَينَيهِ كَرَى النَّومِ لَم يَزَلْ

وحبّ الحصيدِ ، وحبلَ الوريدِ ، وحقّ اليقين ، ونحوه ، مما لايحصى ، وهو إضافة الشيء الى نفسه لاختلاف اللفظين ، تشبيها بما اختلف لفظه ومعناه .

ومثله فى النعت : (غرابيبُ سود) . وفى العطف : أقوى وأقفر . وفى التأكيد : أجمعون أكتعون » (١) .

فانظر كيف أفادَ ابنُ الطراوة من هذه المسموعات ومن القيــاس ؟ فما سُمِع فى الاضافة له نظــائر فى أبواب النحو ، مــن النعت والعطف

---

(١) الافصاح ، ورقة ٢٦ .

والتوكيد . ويبدو أن السهيليّ قد اعتمد كثيرا على شيخه فى حديثه عن هذه الإضافة ؛ فقد سمّاها أيضا إضافة التخصيص ، وقال عنها : « وهو أن تخصّصَ الاسم بإضافته إلى وصفه أو إلى لقب علم ، كقولهم : زيد بطة ، وفى الوصف : جانب الغربى » (١) . وقد قاس هذه الاضافة مشترطا شرطا عاما ، هو أن يكون المضاف اليه معرفة ، ويخص اضافة الموصوف الى صفته بأن تكون هذه الصفةُ لازمةً له ؛ وهذا الشرطُ يحقق له أمرين :

١ ـ الرد على كلمات البصريين ؛ ذلك أن المضاف إليه اذا كان لقبا نحو : زيدِ بطةٍ وسعدِ ناشرةٍ ، تكون قد أضفت فى الحقيقة المسمى الى الاسم ، فمعنى : جاء زيد بطة : جاء صاحب هذا اللقب ، فاللفظان مختلفان فى المعنى ، وإضافة المسمى إلى الاسم لايختلف النحاة فى جوازها ووقوعها .

ومن الحقّ أن البصريّين يؤوّلون ماورد من هذه الاضافة على أنها من قبيل إضافة المسمّى إلى الاسم ، ولكنهم يتوقفون ولايقيسون .

وكذلك يقول السهيلى : إن الوصف اذا كان لازما نحو : مسجد الجامع وماء البارد ، فالمضاف اليه أفاد معنى ليس فى الموصوف ، وهو الصفة ، فصرتَ كأنك تُضِيفُه إلى هذا المعنى ، ولما كان هذا الوصف لازما فهو بمنزلة اللقب ، فرجعت الاضافة أيضا إلى اضافة المسمى الى الاسم ..

ولا أستبعدُ أنْ يكونَ هذا كلامَ ابن الطراوة أو نحوه ، فاشتراط السهيلى أن يكون الوصف لازما يذكرنا بما سبق من حديث ابن الطراوة عن الوصف اللازم وجواز وقوعه نعتا للمعرفة وإن كان نكرة .

٢ ـ الاستدراك على الكوفيين ، ذلك أنهم أطلقوا القياس فى هاتين

(٢) نتائج الفكر ، ورقة ١ .

الاضافتين ، وقياسهم فى اضافة الموصوف الى صفته يُجيز أن يقالِ فى نحو: رأيتُ رجلا قائما : رأيت رجلَ قائمٍ ، ولايجيزُ السهيلى ذلك لان الوصف نيس معرفة وليس لازما ..

وبعد ، فإن لم يكن السهيلى متأثرا بشيخه تمام التأثر ، فلعله بنى على كلامه ، وأقام على أساسه (١) .

• إجازَتُه تعريفَ التمييز :

أجــاز ابنُ الطــراوةِ تعريفَ التمييز ، يقول السيوطى : « وذهب الكوفيّون وابن الطراوة الى أنه يجوز أن يكون معرفة ، كقوله :

وطبتَ النفسَ ياقيسُ عــن عَمْــرو

وقوله :

عَلامَ مُلِئْتَ الرعبَ والحربُ لم تُقَــدِ

وقولهم : سَفِه زيد نفسَه ، وأَلِم رأسَه ، وَبطِرت معيشَتها » (٢) .

وقد تأثر ابن الطراوة بهذا النمط التركيبى ، وانطبــع به أسلوبه ، وقد مر من ذلك قوله : « فلشد ما خَدَع نفسه ، وغَبِن رَأْيَه .. » (٣) فرأيه : تمييز معرفة .

• اجازته نصب الجزاين بعد ان واخواتها :

حكى ابن سيده أن قوما من العرب ينصبون بإن وأخواتها الجزأين بعدها ، وذلك نحو :

---

(١) انظر دراستنا عن السهيلى ٣٦٢ فما بعدها .
(٢) الهمع ١/٢٥٢ ، وانظر الجر المحيط ١/١٩٩ .
(٣) الافصاح ، ورقة ٩ .

إنّ العجــوزَ خَبّــةً جَــرُوزَا

ونحـــو :

إن حُـــرّاســـنا أُسْـــدًا

ومثـــل :

كـــأَنَّ أُذنيــه إذا تَشَــوَّفــا

قـــادِمةً او قَلَمًــا مُحَرَّفــا

أَلَاليتنـــى حَجَـــرا بـــواد

ياليت ايــامَ الصبَــا رواجِعَــا

وسمع : لعل زيدا اخانا (١)

وقد عد ابنُ الطراوة هذا المسموع سائغا مقيسا ، ولعله فى هذا قد اعتمد أيضا على أن الشأن فى « إن » وأخواتها أن لاتعملَ فى واحد من الجزأين ، لانها لم تدخلْ لمعنى واحد فيهما ، وانما لتوكيد مضمون الجملة بعدها ، فإذا عَمِلت فى الاثنين فلان أحدهما ليس أولى بالعمل من الآخر ، وقياسا على باب ظن ، وقد نبّه على ذلك السهيلى .

* الأحسن وصلُ الضمير مع الفعل الناسخ فى نحو كانه :

هذه إحدى مسائله التى خالف فيها سيبويه ، وكان سيبويه قـد تعرّض لوصل الضمير مرتين ، مرةً فى أول كتابه من غـير أن يحكم عليه بقلة أو ندور ، قال : « وتقول : كناهم ، كما تقول : ضربناهم . وتقول : إذا لم نكنهم فمن ذا يكونهم ؟ كما تقول : إذا لم نضربهم فمن يضربهم ؟ قال أبو الاسود الدؤلى :

فَــإن لا يَكُنهـــا أَو تَكُنــه فَــإنه

أَخُوهـــا ، غَذَته أُمُّهـــا بِلبانِها (٢)

---

(١) انظر الهمع ١/١٣٤ .

(٢) الكتاب ١/٢١

وفى موضع آخـر صَرَّح أن ذلك الوصل قليل : « ومثل ذلك : كان إياه ، لأن كانه قليلة (١) » • فيخالفه ابن الطراوة ويصرح بأن الافصح ما ذكره فى أول الكتاب ، يقول ابن الضائع : « وزعم ابن الطـــراوة لن الأجود الوصل • وهذا تكذيب لسيبويه ، واحتجَّ بما ورد فى الحديث من قوله عليه السلام : « كن أبا خيثمة فكانه » (٢) •

وقد ذكر أبو الحسن الاشمونى ان هذا هو الذى اختاره الرمانى(٣) وقد رَجَّحه ابن مالك فى الالفية •

* لايجاب بنعم مكان بلى :

المشهور أن « بلى » تختص بالنفى وتفيد إبطاله سواء أكان النفى مجردا أم مقرونا بالاستفهام ، نحو قوله تعالى (زَعَمَ الذين كفرُوا أن لن يبعثوا ، قل : بلى وربِّى) • وقوله تعالى : (ألستُ بربِّكم ؟ قالوا : بلى) وأن « نَعَم » لا تؤدّى مؤدَّى « بلى » ، لأنها تفيد تصديق القائل مثبتا كان أو نافيا ، ويوضّح ذلك أنه لو قال قائل : ماقام زيد • فتصـــديقه نعم ، وتكذيبه بلى • ولذلك قال ابنُ عباس فى الآية الثانية : إنهم لو قالوا : نعم لكفروا •

وقد أخذ ابن الطراوة على سيبويه أنه وضع « نعم » موضع «بلى» ولحنه فى مقالته (٤) •

ويبدو أنّ أول من انتصر لسيبويه هو السهيلى ، فقد ألف مسألة فى

---

(١) الكتاب ٣٨١/١
(٢) شرح الجمل لان الضائع الجزء الاول ، ورقة ٣٤
(٣) شرح الاشمونى ١١٨/١ ، وماعدها .
(٤) انظر الكتاب ٢٢٧/١

الجواب ببلى ونعم أجاز فيها وقوع نعم فى الموقع الذى تقع فيه « بلى »، ويكون المقصود بها تصديق معتقد المتكلم ، ومعتقد المتكلم هو ما بعد النفى ، ولكنه قال : « إلا أن أكثر العرب على غير هذا ، يرون مراعـاة اللفظ أولى ،لانه الظاهر المسموع،وبه نطق القرآن ، كقوله تعالى : (ألستُ بربكم ؟ قالوا : بلى). ولم يقولوا : نعم .. (١) » وجاء من بعده تلميذه أبو على الشلوبينى (٥٦٢ ــ ٦٤٥) ، فردّ على ابن الطراوة ، ومن بعد بعد هذا تلميذه ابن الضائع (٢) . وجاء من بعدهم ابن هشام (٣) فذكر الشواهدَ التى قَدَّمها السهيلى فى أماليه .

* يمتنع الإضافة إلى « أَنْ » المفتوحةِ خفيفةً أو ثقيلةً :

ذكر ابن الطراوة ذلك فى الافصاح مَرّتين ، أُولاهما وهو يذكر رأى الفارسى فى مذ ، وكان هذا قد مثل لها بنحو : « ما رأيته مـــــذ أن الله خَلَقَنى » ثم قال : « ولابد أن نقدر حذف المضاف قبل أن ، جعلت مذ حرفا أو اسما » فيقول ابن الطراوة : « ولكنه أساء التأويلَ فى تقديرِ الإضافة إلى (أنَّ) ، وهذا ممتنع فيها ثقيلة أو خفيفة : فأما ماحكاه سيبويه : لحق أنه منطلق ، ففيه نظر ، وبينا القول عليه فى الموضع الذى يختص به (٤) » وأشار الى أنه وجه ماقد يُعدُّ شاهدا على هذه الإضافة ، من نحو قوله :

مَخَــافَةَ أنّى قــد عَلِمتُ لَئِــنْ بَدَا
لِىَ الهَجرُ منها ، على هَجْرِهــا صَبرُ

ولم يقع لنا تخريجُه لمثلِ هذه التراكيب .

---

(١) الامالى ، ورقة ١٥
(٢) شرح الجمل لان الضائع ١٣
(٣) انظر المغنى ٣٨٣ ــ ٣٨٤
(٤) الافصاح ، ورقة ١٢

وفى باب النداء وَقَعَتْ هذه الإضافة فى عبارة الفارسى ، فقــد قال : « بدلالة أن نِداءَه شائع » وقال : « بدلالة أنّ كل موضع يقعُ فيه اسما» فيقول ابن الطراوة : « وهذه عُجمةٌ قبيحةٌ تنبو عنها الأسماع ، ولاتقبلها الطباع » (١) .

وقد ذكر السيوطى فى نواصب المضارع أن ابن الطراوة لا يُجيز ان يضاف الى « أنْ » ومعمولها ، وذكر توجيها لا أدرى أهــوَ مــن كلام ابن الطراوة أو من غيرِهِ ، وهو أن « معناها (أى أنْ) التراخى ، فما بعدها فى جهة الإمكان وليس بثابت ، والنية فى المضاف إثبات عينِهِ بثبوتٍ عين ما أضيفَ اليه ، فإذا كان ما أُضيف إليه غيرُ ثابت فى نفســه ، فَأَنْ يثبتَ غيره محال » (٢) .

* يمنع نصبَ المفعولين متقدمين فى باب ظننت :

وكان سيبويه قد أجاز الإعمال على ضعف ، فقال : « وكلّمــا طال الكلام ضَعُف التأخيرُ إذا أعملت ، وذلك قولك : زيدا أخاك اظن ، فهــذا ضعيف كما يضعُف : زيدًا قائما ضربتُ ، لأنّ الحد ان يكون الفعل مبتدأ إذا عمل » (٣) .

وقد أخذ الفارسى بهذا القول ، يقول ابن الطراوة : « وأجاز نصب الاسمين متقدّمين ، اغتراراً بجوازهما مرفوعين ، وهذا مرفوع عنه لأن غيره قد ألَمَّ به (٤) » ويعنى بغيره الذى ألمّ بهِ سيبويه .

---

(١) المرجع المتقدم ، ورقة ٢٣
(٢) الهمع ٣/٢
(٣) الكتاب ٣/٢
(٤) الافصاح ، ورقة ١٢

وقد أوجب ابن الطراوة إلغاء الفعل فى هذه الحالة لأن من مذهبه ـ كما قدمنا ـ أن المعمولَ لا يتقدمُ على عامله ، فإذا تقدمَ أَحدُ الاسمين منصوبا نحو : زيدًا ظننت قائما ، فهو منصوب بالقصد إليه لا بالفعل المتوسط ، فإما إذا تقدما فإنه لا سبيل إلى نصبهما لأن القصد لا يتجه الا إلى واحد فقط ، ولا مفرَّ من رفعهما على الابتداء والخبر وإلغاء الفعل .

*** رفعُ الاسم بعد الاستفهام إذا كان السؤالُ عن الفعل :**

وهذه مسألة أُخرى خالف فيها سيبويه ، وكان أبو بشر قد اختار النصبَ فى الاسم الواقع بعد الالف ، وتمثل ببيت جرير :

أثعلبةَ الفوارسَ أَمْ رِيَاحًا
عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ والخِشَابَا (١)

فأما ابنُ الطراوة فقد عرفنا من قبل أن أمثلة الاشتغال لا يعد المنصوب فيها معمولا لفعل محذوف مُفسَّر بالمذكور ، وإنما هو منصوب بالقصدإليه وقد رأى أنك إذا كنتَ سائلا عن الاسم نحو : أزيد أكرمته أم عمرو ؟فانه يجب الرفع (٢) حيث إنه لا يتأتى القصد إلى المتقدم وأنت تردّدالسؤال بين اثنين ، فأما إذا كنت سائلا عن الفعل فى نحو : أزيدا أكرمته أم أهنته؟ فإنه يجوز ان يكون الاسم منصوبا بالقصد اليه لانه يتصور وروده هنا . هذا ما بدا لى من توجيه لرأى ابن الطراوة فى وجوبِ الرفع إذا كانَ السؤال عن الاسم . ولذلك عَدَّ بيتَ جريرٍ المتقدمَ من الشاذ الذى لا يُقاسُ عليه .

---

(١) الكتاب ١٠٢/١

(٢) انظر أوضح المسالك ٨/٢ ، والهمع ١١٣/٢

جـ ـ شواهده وأقيسته :

من أبرز قضايا اللغة العربية قضيةُ الاستشهاد بالحديث ، وقد بدا من خلال مدارستى لها أن المعنيِّين بها قد شُغِلوا بالحديث فى ذاته أَيُستَشْهَدُ به أم لا ؟ دون أن يشغلوا بالجانب التاريخى لهذه القضية ، فلم يقل قائل : متى نَشأ رد الاستشهادُ بالحديث ؟ وما الأسباب التى حملت بعضَهم على رفضه ؟ وقد تبيّن لى أن أول رَدٍّ على الاستشهاد بالحديث كان من ابن الضائع (ت ٦٨٠) ، ولهذا الرد أسبابُه فقد عُنِى الرجل بتتبع ابن الطراوة ونَقْضِ اعتراضاته على سيبويه ، وقد نَبَّهنا على ذلك من قبل ، ولما كان ابنُ الطراوة ممن يَستشهد بالحديث ويردّ به على سيبويه ، وآراؤُه المتقدمة تشهد بذلك ، فقد أراد ابنُ الضائع أن يُوَهِّن أدلته ، وكان كتابه « شرحُ الجمل » مِنْبَرَ هذه الحملة ، بسبب استشهادِ ابن الطراوةِ بقوله عليه الصلاة والسلام : (كُنْ أبا خثيمةً فكانه) وجدناه يردّ عليه مرتين فى كتابه ، قال أولاً « وقد تقدم غير مرّة أن الحديث وقع فى روايته تصحيف كثيرٌ ولحن ، هذا مع أنهم يُجَوِّزون النقلَ بالمعنى ، وعليه حُذّاق الأئمة وإن كان المحدّثون أخيرا قد تجنّبوا هذا كثيرا وحافظوا عليه ، ولكن لم تبق ثقة مع تجويزِ من تَقدّم ذلك (١) »

وقد كرر ثانيا ماقاله ، ورتّب عليه أن هذا « هو السبب عندى فى ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهادَ على إثبات اللغة بالحديث ، واعتمدوا فى ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ، فلولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى فى الحديث ، لكان الأولى فى إثبات فصيح اللغة حديثُ النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأنه من المقطوع به أنه ــ صلى الله عليه وسلم

---

(١) شرح الجمل ، الجزء الاول ورقة ٣٤ .

ــ أفصحُ العرب (١) » •

وينتقل ابنُ الضائع من نقدِ ابن الطراوةِ إلى نقدِ ابن خروف ،فيقول: « وابنُ خروفٍ يستشهد بالحديث كثيرا ، فإن كان على معنى الاستظهار والتبرّك بما روى عنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فحسَن ، وإن كان يرى أن مَن قبله أغفل شيئا وَجَبَ عليه استداركُه ، فليس كما رأى » (٢) •

فلم تظهرْ حملةُ ابن الضائع على الاستشهاد بالحديث إلا مقرونة بالانتصارِ لسيبويه من ابن الطراوة ، وجاء نقدُه لابن خروف تَبَعًا لا قصدا والذى يعنينا هو أن ابا الحُسين كان ممن يعتِدُّون الحديثَ ويعدّونه أحد الأصول السماعية •

ولقد وجدتُ ابنَ الضائع أيضا ينسُب الى أبى الحسين أنه كان يحتج بألفاظ أهل زمانه ، ففى مسألة إيقاع نعم موقع بلى حيث لحّن ابنُ الطراوة سيبويه ، أراد ابن الضائع أن ينتصر لابى بشر ، وكان مما قال : « يُقال لابن الطراوة : هل يجوزُ أن يقول المجيب عن سؤال : ألستَ قد عَلِمت ؟ نعم قد علمت ذلك ، فان قال : لايجوز له ذلك ، خالف ماهو كالمركون فى الطباع ، فإنه جواب صحيح معلوم بضرورة العقل ! وكيف لا يكون هذا حجةً عليه ومن مذهبِه الاحتجاج بألفاظ أهل زمانه كثيرا (٣) » وعبارته « ألفاظ أهلِ زَمانه » ــ كما ترى ــ عبارة مجملة ، لايُدرَى المقصودُ منها ، فإن عنى أنه كان يستشهد بأشعار المولّدين فلم يأت ابن الضائع بشاهد من هذا الشواهد التى اعتمَدها ابن الطراوة ، وإن كان قد عنى ان ابا الحسين كان يفيد من طرائق العامة فى الحديث والمخاطبة ، فقد نبهنا على ذلك من قبل ، ونحن نعرّف بالمعالم العامة لنحو أبى الحُسين ، وقلنا : إنه كان يفيدُ مما يسمع فى توجيه لغةِ العرب الفصحى لا أنه كان يَنُوط القواعدَ بألفاظ العامة •

---

(١) المرجع نفسه ، ورقة ١٣

(٢) المرجع المتقدم ، الجزء الثانى ، ورقة ٩٦

ولكننا قد لا حظنا من قبـــل أن أبا الحُسَـــين كان لا يتسرَّع فى الحكم على الشواهد بالشذوذ ، أو القولِ بأن هذا الأمر مرجعُه السماع ، وأنه كان يحاول تقويم هذه المسموعات وإن قلّت ، واستنباط أحكـــام جديدةٍ ، مادام القياسُ يؤيِّد هذا السماع . والمثل لذلك إجازته مجىء الحال النكرة ، والغاء كان وظن وبابهما متقدمتين ، وغير ذلك .

* * *

وبعد ، فأرجو أن أكون قد قـــدمتُ مشـــاركةً نافعةً فى التعريف بالاستاذ أبى الحُسَين بن الطراوة ، أحدِ أعلامنا الخالدين الذين مَكّنوا للغتنا فى عصرهم ، وتركوا من بعدهم جيلا ينبض بحبّها ويحيا من أجلها ، فكان هو وأمثاله ممن أرادَهم الله لحفظِ كتابه ، وكان تتابُعهم على مرِّ الزمان تصديقا لوعده : (إنا نحنُ نَزّلنا الذكرَ وإنا له لحافِظونَ) .

ومـــا توفيقى إلا بالله عليه توكلتُ ، وإليه أُنيبُ ؛ والحمـــدُ لله ربّ العالمين .

دكتور

محمد إبراهيم البنا

المراجع

اولا : المخطوطات والمصورات والمنسوخات :

١ ــ ارتشاف الضرب لأبى حيان ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٨٢٨ ، ١١٠٦ نحو

٢ ــ الإفصاح ببعض ماجاء الخطأ فى الايضاح ، لابن الطراوة ،مصورة بمكتبتى .

٣ ــ السهيلى ومذهبه النحوى ، للدكتور محمد ابراهيم البنا ، نسخة بمكتبة كلية اللغة العربية ــ جامعة الازهر .

٤ ــ شرح الجُمل لابن الضائع ، مخطوط بدار الكتب ، برقم ٢٠ نحو .

٥ ــ طبقات ابن قاضى شُهبة ، مصورة بدار الكتب ، برقم ١١٩٨٨ ع .

٦ ــ العوامل النحوية للدكتور عبد اللطيف سرحان ، مخطوط بكلية اللغة العربية جامعة الازهر .

٧ ــ النحوُ فى الأندلس للدكتور أحمد كحيل ، مخطوط بكلية اللغة العربية ــ جامعة الازهر .

٨ ــ نتائج الفكر فى النحو ، تحقيق الدكتور محمد ابراهيم البنا ــ نسخة بكلية اللغة العربية جامعة الازهر .

ثانيا : المطبوعات :

١ ــ الآثار الاندلسية الباقية فى اسبانيا والبرتغال ، لمحمد عبد الله عنان ، طـ لجنة التأليف .

٢ ــ أدب الأندلس وتاريخها لليفى بروفنسال .

٣ ـ الأشباه والنظائر للسيوطى ، ط حيدر آباد .

٤ ـ امالى السهيلى ، تحقيق د . محمد ابراهيم البنا ، ط دار السعادة بمصر

٥ ـ إنباه الرواه على أنباه النحاه للقفطى تحيقيق محمد ابو الفضل أبراهيم ط دار الكتب المصرية .

٦ ـ الأنساب للسمعانى .

٧ ـ اوضح المسالك لابن هشام ، شرح محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط السعادة الثالثة .

٨ ـ البحر المحيط لابى حيان ، ط السعادة .

٩ ـ بغية الملتمس للضبى ، ط روخس بمجريط .

١٠ ـ بغية الوعاه للسيوطى ، تحقيق محمد ابو الفضل ، ط عيسى البابلى الحلبى

١١ ـ تذكرة الحفاظ للذهبى ، ط حيدر اباد .

١٢ ـ التكملة ـ لكتاب الصلة ، ط مدريد ، ط الشرقية بالجزائر .

١٣ ـ حاشية الصبان على الاشمونى ، دار احياء الكتب العربية .

١٤ ـ الحلة السيراء لابن الأبار ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة .

١٥ ـ دراسات فى أسلوب القرآن الكريم للأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة ، ط السعادة بالقاهرة .

١٦ ـ الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب ، لابن فرحون ، ط شقرون .

١٧ ـ الرد على النحاة لابن مضاء ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، ط دار الفكر العربى .

١٨ ـ رَسائِلُ ابن حزم ، تحقيق إحسان عباس ، الخانجي بمصر .

١٩ ـ الروض الأُنف للسهيلي ط الجمالية بمصر .

٢٠ ـ شرح الاشموني ، دار احياء الكتب العربية .

٢١ ـ الصلة في تاريخ علماء الاندلس لابن بشكوال ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٢٢ ـ فهرسة ابن خير ، منشورات المكتب التجاري ببيروت .

٢٣ ـ الكتاب لسيبويه ، ط الاميرية ١٣١٦ هـ

٢٤ ـ كشف الظنون لحاجي خليفة ، ط ستانبول .

٢٥ ـ المزهر للسيوطي ، تحقيق محمد احمد جاد المولى وآخرين ، دار احياء الكتب العربية .

٢٦ ـ المطرب من اشعار أهل المغرب ، لابن دحية ، تحقيق ابراهيم الابياري وآخرين ، ط الاميرية

٢٧ ـ المُعجب في تلخيص اخبار المغرب ، لعبد الواحد المراكشي ، تحقيق محمد سعيد العريان .

٢٨ ـ معجم البلدان لياقوت .

٢٩ ـ المغرب في حلى المغرب ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر .

٣٠ ـ مغني اللبيب لابن هشام .

٣١ ـ المقدمة لابن خلدون ، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي ، ط لجنة البيان العربي الاولى .

٣٢ ــ نفح الطيب للمقرى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط السعادة .

٣٣ ــ همع الهوامع للسيوطى ، ط السعادة .

٣٤ ــ وفيات الاعيان لابن خلكان ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط السعادة .

فهرس الكتاب

الصفحة

« ترشيح المقتدى » ، مختصر المقدمات السابق .

« رسالة فيما جرى بينه وبين ابن الباذش فى مسألة نحوية » :

هل هى فى الاستثناء ؟

« مقالة فى الاسم والمسمى » .

« الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ فى الإيضاح » ، اعتمادنا على هذا الكتاب فى التعريف بابن الطراوة ، بعض مشكلات هذه المخطوطة وحلها وتوثيقها ، موقف ابن الطراوة من الفارسى فى إيضاحه ، الجهات التى عنى فيها ابن الطراوة بنقد الفارسى) .

٦٦ - ١٠١ آراؤه فى النحو :

تعريفه للنحو ، احتكامه إلى كلام العامـــة ، تحديده للمصطلحات ، تقسيماته الجديدة ، إعراباته . قضية العامل والتعريف بها ، المقصد إليه عامل جديد ذهب إليه ابن الطراوة ، بعض أصوله فى العمل : الأسماء لا تعمل ، العامل فى المصدر المؤكد ، ابن الطراوة يجيز إلغاء كان وظن مع التقدم ، اسم المصدر لا يعمل . رب اسم ، مسألة من باب البدل ، سحر : مبنى على الفتح .

آراؤه فى التراكيب : يجيز مجىء الحال من النكرة ، ووصف المعرفة بالنكرة المختصة ، وتوكيد النكرة بألفاظ الإحاطة . وعطف ألفاظ التوكيد بعضها على بعض ، ونصب الطريق على الظرفية ، وحذف الجارّ إذا تعين ، وإضافة الاسم إلى صفته ومرادفه ، وتعريف التمييز ، ونصب الجزأين بعد إن وأخواتها . ابن الطراوة يفضل وصل الضمير مع الفعل الناسخ نحو : كانه ، ويمنع إيقاع نعم موقع بلى ، والإضافة إلى أنّ المفتوحة خفيفة أوثقيلة ، ونصب المفعولين متقدمين فى

باب ظننت ، ويوجب رفع الاسم بعد الاستفهام إذا كان السؤال عن الفعل .

شواهده وأقيسته :

يستشهد بالحديث ، الجانب التاريخي لهذه القضية . قيل : إن ابن الطراوة كان يستشهد بشعر معاصريه ، تقديمه للمسموعات ودرجها تحت قواعد تخرجها عن الشذوذ .

رقم الإيداع ٤٣٤٨ / ١٩٨٠

الترقيم الدولي ٤–٣٥–٧٣٢٨–١٩٧٧



دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ شارع نشاطي - شبرا مصر
ت : ٩٧٠٢٢١

دار الاعتصام
للطبع والنشر والتوزيع
القاهرة ٨ شارع حسين حجازى
تليفون ٣١٧٤٨



٨٠ قرشا